335

HARLEQUIN

روايات أحلام

رهان على قلب

جيسيكا هارت

رياحين
www.liilas.com/vb٣

رهان على قلب

فيبي في مأزق: عليها أن تذهب إلى زفاف خطيبها السابق مدعية بأن حياتها على ما يرام. وأن قلبها متعلق بشخص آخر ... وحتى تحقق غايتها. نصحتها رفيقتها بخطة تخرجها من هذا المأزق... اقترحت عليها استئجار شخص والادعاء بأنه خطيبها الجديد.

بدت الخطة رائعة. لولا أن "جيب" الخطيب الذي استأجرته ليس الشخص العاطل عن العمل الذي ظننته فهو متنكر ليكسب رهانا ... فهل يكون ثمن الرهان هو قلب فيبي؟

١ ـ التحدي

أخفض جوش زجاجة الماء التي كان يشرب منها وحدّق بجيب مفاجئاً: «تركتك مالوري؟».

استند جيب إلى الجدار الجليدي وارتدى سترته وهو يقول بابتسامة ملتوية: «هذا يدعو للسخرية. أليس كذلك؟ عادة يحصل العكس».

كشر جوش: «أنا آسف لسماع ذلك. لطالما أعجبني مالوري. بدوتما مناسبين معاً».

ـ هذا ما ظننته أيضاً. مالوري امرأة مميزة. إنها ذكية جداً وجميلة ومستقلة. ظننت فعلاً أن الأمور ستكون مختلفة.

كانا ينسلقان جبلاً جليدياً، وتوقف جيب ليزيل الثلج عن حذائه. قال شارحاً: «عندما لاحت تلك الكلمة المخيفة، عرفت أنها بداية النهاية».

ـ أي كلمة؟

ـ الارتباط.

وأخذ «جيب» يحدّق إلى المشهد المذهل المحيط بهما. كانا قد توقفا ليستريحا قليلاً على إفريز جليدي. كان لا يزال أمامهما مسافة ليصلا إلى قمة الجبل، لكن المنظر من هناك مرتفع بما يكفي ليطلّ على الأفق الغائم الممتد أمامهما.

كان «جيب» يهوى الجبال. الهواء كان نظيفاً نقياً والصوت الوحيد المتصاعد هو صفير الريح الباردة التي تغمر المكان على الرغم من

أشعة الشمس. وأسعده أن جوش اتصل به، مقترحاً عليه التسلق، فذلك أفاده كثيراً، لا سيما وأن ما من امرأة باكية أمامه.

وسأل رفيقه: «لمَ النساء مهووسات بالارتباط؟ جميعهنّ في البداية يدّعين الاستقلالية وعدم حب الالتزام ولكنك تكون محظوظاً إذا لم يبدأن بالتخطيط للزفاف بعد الموعد الثالث معهنّ!».

فأجاب جوش بكثير من التعقل: «لكنك أنت ومالوري خرجتما أكثر من ثلاث مرات، فقد مضى على علاقتكما ما يناهز السنة. أليس كذلك؟».

- بالضبط. كنّا منسجمين وكان كل شيء يسير على أتمّ ما يرام... لمَ أفسدتْ كل شيء؟

- ماذا قالت؟

- يبدو أنني عاجز تماماً عن «الارتباط» أو «الالتزام» على حدّ قولها. وبنظرها، أنا عاملتها كما أتعامل مع أطباق الطعام.

- كيف؟

- نظرية مالوري تقول إنني أتصرف مع النساء كما مع الأطباق، فحتى لو وجدت واحدة تعجبني، لا أرتبط بها، إذ أتساءل دائماً إن كان بإمكاني إيجاد ما يرضيني أكثر أو طبقاً أستسيغه أكثر على المائدة.

لم أبدى جيب حركةً تدل على الاشمئزاز وهو يقول:

- ألا تكره أن تقوم النساء بتحليلك هكذا؟

لم يجب جوش مباشرة وكانت تعابيره غير مقروءة خلف نظاراته الداكنة وهو يفكر في نظرية مالوري.

وأخيراً قال: «لكنها محقة، أليس كذلك؟».

- إلى جانب من أنت؟

- أنت قلت إنها شابة ذكية.

- صادف أنني أُعجَب بالنساء. ما العيب في هذا؟

- لا شيء.

- والنساء يُعجبن بي. أنا أحيهنّ! من السخف أن تقول لي إنه ليس بإمكاني الارتباط بهنّ كما ينبغي.

- أهذا ما قالته مالوري؟

- قالت إن لا فكرة لديّ عن مصادقة النساء. أتصدق هذا؟

وبدا «جيب» مستاءً للغاية.

- نعم.

- ماذا تقصد؟

سأل ذلك وقد فاجأه هذا الرد البارد المتصلّب. إن جوش أحياناً في غاية البرودة، أشبه بالبريطانيين! كان جوش يتفحص حيال التسلق وهو يسأل رفيقه: «هل أقمت يوماً علاقة صداقة عذرية مع امرأة؟».

- طبعاً.

- متى؟

- متى؟ حسناً، لنرَ... متى... متى... حسناً لا يمكنني أن أتذكر أحداً في هذه اللحظة، ولكنني واثق من أن هناك أحداً ما. أراهن على أنك أنت أيضاً لا تتذكر أحداً الآن.

وقد أضاف ذلك محاولاً الدفاع عن نفسه.

لكن جوش أجاب بهدوء: «بالطبع يمكنني ذلك. بيللا واحدة من أعزّ أصدقائي وربما أفضل صديقة لي في الواقع. كنّا معاً على مقاعد الدراسة واستمرت علاقتنا منذ ذلك الحين».

- ألم تغازلها يوماً؟

- كلا.

- لكنك أردت ذلك على الأرجح.

هزّ جوش رأسه قائلاً: «لا، فذلك يفسد علاقتنا. هي لديها رجل تهتم لأمره وأنا لدي صديقات أخرج معهنّ. لكن الأمر مختلف معها. يمكنني التحدث إليها بشكل أعمق عن اعتماده مع أي شخص آخر. نحن نفهم بعضنا جيداً».

ثم تابع شارحاً: «لا علاقة لهذا بالمغازلة أو الجنس، لا يمكنك أبداً أن تصادق امرأة بالطريقة نفسها».

- أتريد المراهنة؟

- اتفقنا.

- اتفقنا.

ربط جوش طرف الحبل واستند إلى الصخرة خلفه.

- أراهن على ... عشرة آلاف دولار أنه لا يمكنك أن تكون مجرد صديق لامرأة.

فانفجر «جيب» بالضحك: «عشرة آلاف دولار؟ لا بد أنك تمزح».

- يمكنك أن تدفع هذا المبلغ.

- نعم ولكن هل تستطيع أنت؟

- لا أظنني سأكون مضطراً لذلك.

ضاقت عينا جيب. في الواقع، هو ليس من النوع الذي يرفض تحدياً كهذا!

- الصداقة أمر نسبي وغير موضوعي. كيف نعتبر إذاً أنني نجحت أم لا؟

فتح جوش لوحاً من الشوكولا وراح يأكله متأملاً، ثم سأل أخيراً:

- ما رأيك بإمضاء عدة أسابيع في لندن؟

- لا أظن هناك مشكلة. يمكنني بسهولة أن أبقى على اطلاع بكل ما يجري هنا من أي مكان أتواجد فيه.

وأخذ قطعة الشوكولا التي أعطاه إيّاها جوش وهو يتابع قائلاً ببطء: «في الواقع، قد يناسبني ذلك تماماً، إذ كنت أفكر في تطوير بعض العلاقات في أوروبا، ثم سيفيدني أن أغادر البلاد بسبب مسألة مالوري».

أومأ جوش فوراً وقال: «إليك الاتفاق. بيللا تعيش في منزل في جنوب لندن مع ثلاث فتيات أخريات ولكن إحداهنّ ستتزوج قريباً، لذا سيكون هناك غرفة شاغرة. وأظن أن بإمكاني تدبير الأمر لتعيش هناك

فترة. أعتقد أن ذلك سيكون امتحاناً حقيقياً بالنسبة إليك! إذا قالت لي بيللا وكايت وفيبي بعد ستة أسابيع إنك صديق حقيقي، عندئذٍ أرسل لك شيكاً بقيمة الرهان».

- همم...

بدا «جيب» متشككاً بعض الشيء: «كيف هنّ أولئك الفتيات؟».

- إنهنّ ببساطة ثلاث شابات لطيفات إنكليزيات وعاديّات.

- أهذا كل ما في الأمر؟ أعيش معهنّ ستة أسابيع وأكون صديقهنّ؟

- ولكن ثمة شرط... عليك أن تذهب متخفياً. لقد خرجت هنا مع العديد من النساء الجذابات والناجحات. مالوري عالمة نفس وقبلها واعدتْ مقدمة البرامج التلفزيونية، وعارضة الأزياء تلك... ما اسمها؟ تلك التي كانت تتحلى بساقين طويلتين رائعتين؟

- فيرونا؟

- بالضبط.

وسمح جوش لنفسه بأن يتذكر ساقيها لحظة. كانتا فعلاً رائعتين. ثم تابع: «على أي حال، المقصود هو أن الوضع سيكون مختلفاً تماماً عمّا هو عليه هنا. الفتيات لا يعرفن شيئاً عنك وبالتالي لا يمكنك التأثير عليهنّ كما تفعل هنا. عليك أن تكون ذاتك وإذا لم تستطع أن تكون صديقهنّ في ظل هذه الظروف، فسيكون عليك الإقرار بأن مالوري على حق!».

كانت تعابير جيب غير مقروءة خلف نظاراته السوداء وهو يحدق إلى الخيال في الأفق. كان يفكر في والده الذي تزوج للمرة الرابعة، والذي يعق معه في كل شيء إلاّ في هذا، إذ يبدو أن مفهوم والده للارتباط يختلف تماماً عن مفهومه هو.

وكان جيب من جهة أخرى يتباهى دائماً بأنه لا يقطع أبداً وعوداً لا يستطيع الإيفاء بها. وكان دائماً يشرح لصديقاته بأنه لا ينوي الزواج، وبصراحة لم يكن يرى أي خطب في كونه يريد أن يعيش الحاضر من دون

التقيد بمستقبل هو غير مستعد له.

لكن هذا لا يعني أنه لا يستطيع أن يكون رفيقاً لامرأة.

وإذا لم يحظ برفيقة كما هي حال جوش، فذلك لأن معظم الشابات اللاتي التقاهنّ كنّ مهتمات بالزواج أكثر منه بالصداقة.

لا بأس! سوف يُظهر جوش ومالوري ووالده أيضاً أنه قادر تماماً على إنشاء علاقة صداقة مع امرأة من دون مغازلتها أو مواعدتها، بعيداً عن كل رغبة. سوف يشبل الرهان.

- عشرة آلاف دولار؟

- عشرة آلاف دولار.

- وأنا أختار الجمعية التي أقدم لها المال؟

- هذا إذا ربحت وإلاّ فأنا من يختارها.

عندئذٍ، مدّ جيب يده لصديقه قائلاً: «حسناً إذاً، اتفقنا».

* * *

هاوت فيبي على الأريكة، ورفست بقدمها الحذاء الذي خلعته لتوها، ثم رفعت ساقيها بتهيدة ارتياح.

- قدماي تؤلمانني كثيراً. في المرة القادمة التي أذهب فيها إلى زفاف، ذكّريني ألاّ أنتعل حذاءً عالي الكعبين.

- لكنه رائع. أحياناً على المرء أن يضحّي في سبيل الموضة.

قالت بيللا ذلك وهي تناول فيبي فنجاناً من الشاي، فأخذته منها ممتنة. كانت مسترخية على الكنبة وساقاها متدليتان.

- أظنني لن أحتمل اتباع الموضة دائماً. لم أكن أعرف أن الزفاف سيكون بهذا الشكل. هل رأيت بعض النساء الحاضرات هناك؟ لا بد أن الظهور على هذا النحو يتطلب منهن دواماً كاملاً أمام المرآة! شعرت بأن ملابسي مزرية وقديمة الطراز وكأنني إحدى النسيبات اللواتي بحرجك وجودهن ولكن عليك دعوتهن.

وافقتها فيبي قائلة: «أعرف. حتى إنهنّ لم يتفاجأن البتة لعدم وجود صديق معنا».

- آه هيا! لم يكن الأمر بهذا السوء. أحب حفلات الزفاف العائلية. وإذا حصل وتزوجت يوماً، سأفعل مثل كارو... حفلة زواج رائعة في نادٍ رفيع المستوى، بحضور مئات المدعوين المتأنقين.

- يُستحسن بك أن تجدي أصدقاء جدد.

قالت فيبي ذلك وفمها مشغول بمضغ قطعة من الشوكولا.

- إذا كنت ستفرضين نوعاً معيناً من الشباب على الحاضرين، فإن معظمنا لن يستطيع الحضور. أنا وكايت وجوش سنربض خلف درج الكنبة لكي نسترق النظر إليك وأنت تمرّين.

ابتسمت بيللا قائلة: «أنا واثقة من أنني سأجد لك ولجوش زاوية مظلمة تختبئان فيها».

أما كايت فقالت معلّقة: «من الأفضل أن تقولي لوالدك أن يبدأ بادخار المال من الآن، فزفاف مثل زفاف اليوم يكلف الكثير».

- لا بد أن أتطوع ساهم في الدفع.

قالت كايت: «أفضّل أن أقيم زفافاً ريفياً تقليدياً، مقتصراً على العائلة والأصدقاء، وأن أعود من الكنيسة إلى حديقة العائلة حيث نقيم حفلة صغيرة، وأريد أن تمشي ابنتا أخي أمامي».

ثم تابعت حالمة: «سوف تبدو الصغيرتان رائعتين في فستان زهري و...».

لكنها سرعان ما توقفت عندما رأت فيبي وبيللا تنظران إليها، فاحمرّت خجلاً وهي تبرر قائلة: «في الواقع، لم أفكر كثيراً في هذا الموضوع...».

- طبعاً لا.

قالت بيللا ذلك ثم استدارت نحو فيبي وسألت: «ماذا عنك يا فيبي؟ أتفضلين عرساً أنيقاً أو زفافاً تقليدياً ريفياً؟».

كانت فيبي تنفض فتات البسكويت عن فستانها وهي تجيب: «لا هذا ولا ذاك. أظن الأفضل هو أن أهرب وأتزوج سراً، فلا يتسنّى لكما التخطيط لأي شيء. وبهذه الطريقة على الأقل لا تعرفان أن العريس كان سيتخلف عن المجيء!».

أجابت بيللا بحزن: «آسفة فيبي، نسيت أنك سبق ومررت بهذه التجربة».

حاولت فيبي أن تهز كتفيها لتظهر لا مبالاتها: «آه، لقد مرّ على ذلك أكثر من ستة الآن».

في الواقع، ١٦ شهراً، ثلاثة أسابيع وأربعة أيام، وهذا لا يعني أنها تعدّ الأيام.

ـ ثم لم تفعل سوى التخطيط للزواج قبل أن يغيّر «بين» رأيه.

احتفظت كايت وبيللا بالصمت إذ كانتا تعلمان جيداً أنها وبين كانا حبيبين منذ الطفولة ومن المستبعد جداً ألاّ تكون فيبي قد أمضت معظم حياتها تفكر في اليوم الذي ترى فيه نفسها متزوجة من «بين».

على الأقل، لم يكن والداها قد أرسلا أي دعوات بعد، ما وفّر عليها مذلّة إعادة الهدايا، والإجابة على الرسائل المتعاطفة، مع أن الجميع كان يعلم طبعاً.

تناولت فيبي فنجان الشاي قائلة: «على أي حال، لا أظن أن أيّاً منّا مستعجل الآن للتخطيط لزفافه، كما لو أن صفوفاً من الرجال ينتظرون أمام عتبة منزلنا ليرافقونا إلى المذبح».

ـ هذا صحيح.

وتنهدت بيللا وكايت متحسّرتين. أمّا هي فتابعت قائلة: «بدأت أفكر في أن ثمة خطب في هذا المنزل، وكأن لعنةً ما تبعد الرجال عنه. أتظنان أن عليّ بيعه؟».

نهضت الشابتان الأخريان فجأة، صائحتين: «لا».

وقالت كايت: «يعجبني هذا المكان».

فوافقتها بيللا سريعاً: «وأنا أيضاً. لا أظننا سنجد مكاناً أجمل من هذا لنعيش فيه».

ثم قالت كايت مطمئنةً فيبي: «أعرف ما تعنيه عن اللعنة. ربما هذا يفسر سبب تبدل تصرف «سبب» مؤخراً».

ثم تابعت قبل أن يتسنى لفيبي أن تتكلم عن الاحتمالات الأخرى لتبدل تصرف سبب: «أظننا يجب أن نجرب الفاتح شو الصينية. أحد أصدقائي يشبهها، ويبدو أنه بإمكانك تغيير حظك بمجرد تغيير الديكور فذلك يبعد الأرواح الشريرة ويحول دون دخولها للمنزل».

ـ لا أظن هناك مشكلة.

ـ كايت على حق يا فيبي. ليس بشأن الفاتح شو، إنما بشأن عدم بيع المنزل. إنه مكان رائع وأنا حتماً لا أودّ الانتقال منه. أقر بأن الأمور لن تبقى على حالها من دون كارو... لا أصدق بأنها كانت من الأنانية بحيث تركتنا لنتزوج.

ـ أعرف. أعني، ما الذي تجده في الزواج؟

وبسطت فيبي يديها مستفهمة، «لمَ تترك كل هذا لتذهب إلى منزل آخر في فولهام؟».

فأجابت كايت: «لا أتخيل الوضع. لن أفعل شيئاً كهذا. ربما سنفتقدنا كثيراً بحيث سرعان ما تعود إلينا».

تنهدت فيبي قائلة: «أعلم أنه سيكون من الصعب استبدالها، ولكن على العثور على من يشغل الغرفة مكانها وإلاّ فلن أستطيع دفع الرهن. ألم تسمع أيّ منكما عمّن يودّ استئجار غرفة ما؟».

هزّتا رأسيهما نفياً، في حين قالت بيللا: «أقلّه لم نسمع عمّن يودّ تلك ممّن يحلو مشاركتهم السكن».

ـ يبدو أنني سأضطر لنشر إعلان في الصحيفة، إذاً.

ـ لا أظنها فكرة سديدة.

قالت كايت ذلك متوترة ثم تابعت: «قد نقع على كافة أنواع

الغرائب والعجائب. أتذكران ذلك الفيلم حيث تقتل إحدى الفتيات رفيقتها في السكن؟ قد يحدث معنا الأمر عينه».

ـ أو ربما أسوأ. قد يأتي ليعيش معنا أحد المهووسين بالرقص.

بعد أن قالت بيللا ذلك، خيّم الصمت على الفتيات الثلاث اللاتي أخذن يفكرن في الموضوع. ثم قالت فيبي: «أو قد يأتينا أحد المهووسين بالنظافة».

وعندما أجالت نظرها في أرجاء المطبخ الفوضوي، قالت: «قد لا يكون ذلك سيئاً، فسيكون لديها الكثير من العمل لتقوم به».

ـ لقد تشاركت شقة مع فتاة كهذه مرة.

وارتعدت بيللا للذكرى.

ـ كانت مهووسة تماماً بالنظافة. وكان في كافة أرجاء المنزل أوراق عليها تعليمات حول رمي النفايات ومسح الغبار. وإذا ما قررت يوماً أن تعدّي لنفسك كوباً من الشاي، فهي تمسك صينية وتلحق بك إلى أن تضعي الكوب من يدك.

ثم كشرت بيللا قائلة: «الأمر مثير فعلاً للأعصاب وأظن أن من الأفضل أن نتشارك السكن في هذه الحالة مع قاتل متسلسل أو راقص».

فتنهدت فيبي: «أفضّل أن أبيع المنزل».

وفجأة، سألتها كايت: «ماذا عن ذلك الشاب الذي كان جوش يتكلم عنه؟ هل أخبرك عنه؟».

ـ باختصار. ما اسمه؟

رفعت كايت رأسها إلى الأعلى متأملة السقف وهي تبحث عن اسمه في ذاكرتها: «غاس»؟

لكن بيللا صححت لها: «اسمه جيب».

ـ هذا هو.

لقد تذكرت فيبي حديثها مع جوش: «ولكن ألا يريد مسكناً مؤقتاً فقط؟ نحن بحاجة للعثور على شخص دائم».

ـ نعم ولكن إذا بقي هنا قليلاً، سينسى لنا الوقت لتأجير شخص يعجبنا.

لكن فيبي قالت بحذر: «نحن لا نعرف شيئاً عنه».

ـ نعرف أنه صديق جوش.

ـ ولكن لمَ يريد السكن فقط لعدة أسابيع؟

سألت بيللا فيصفتها الصديقة الأقرب إلى جوش، يمكنها أن تعرف أكثر من سواها عن الموضوع.

ـ لست واثقة، فجوش لم يكن واضحاً بالنسبة لذلك. أعلم أنه يعيش في كاليفورنيا. هذا كل شيء. يبدو لي أنه يمرّ في أزمة مالية ولهذا السبب يريد مكاناً زهيد الكلفة نوعاً ما.

نظرت إليها فيبي متشككة: «إذا كان وضعه المادي سيئاً، لماذا يأتي من الولايات المتحدة إلى لندن؟».

ـ ربما يريد فقط أن يبتعد قليلاً عن دياره.

قالت كايت ذلك وقد أشرق وجهها لاحتمال أن يأتي شخص آخر تهتم به: «ربما هو محطّم القلب ويريد مكاناً ووقتاً ليشفى من جراحه».

ـ آه، أجل. هذا محتمل جداً.

أجابت فيبي بهذا ساخرة: «أنت في كاليفورنيا، تغمرك أشعة الشمس وتحيط بك أجمل المناظر، فتفكرين: أريد الاستمتاع. فماذا بإمكاني فعله؟ سأذهب وأمضي ستة أسابيع في توتينغ! ليس لدي شيء ضد توتينغ، فنحن نحب هذا المكان... ولكن يجب أن نقرّ بأن ضاحية في جنوب غرب لندن ليست المكان الأفضل للسباح».

فقالت بيللا بلهجة عملية: «لا يهم سبب حضوره. فجوش ما كان ليوصي به لو أنه عاجز عن دفع الإيجار، كما لا يمكن أن يكون سيئاً للغاية إن كان صديقاً له. لم لا تفكرين بالأمر يا فيبي؟ ثم قد يكون من الممتع مشاركة المنزل مع رجل!».

سوّت كايت جلستها قائلة: «وربما يعرف سبب بالأمر ويصاب

بالغيرة».

أضافت ذلك بلهجة ملؤها الأمل.

فكرت فيبي في سرها أنه من المستبعد تماماً أن يهتم صديق كايت المزعوم، المعروف باسم «سيب القذر»، ولو مقدار ذرة. لكنها تعرف أن كايت تعيش على أمل رؤيته مجدداً. في الواقع إنها الشخص الوحيد بين معارف فيبي، ممن يظنون أن الاستمرار في تقبيل الضفدع سيحوّله في النهاية إلى أمير.

فاكتفت فيبي بالقول: «من يدري؟ حسناً سنقبل بجيب».

* * *

الثوت شفتا جيب وهو ينظر إلى مسكنه للأسابيع الستة المقبلة. كان يشكّل أحد المنازل الفيكتورية المتشابهة المصطفة على جانبي الشارع الضيق. وفي تلك الأمسية الممطرة من شهر أبريل، عجزت حتى براعم الأزهار أمام المنزل عن التخفيف من كآبة الجو.

ولم يستطع جيب إلا أن يفكر في منزله على ساحل المحيط الهادي، بغرفه الشاسعة المنيرة ومناظره المطلة على البحر. وبدأ يتساءل إن كان سيندم على قبول التحدي الذي أقحمه فيه جوش.

أجل سائق التاكسي حنجرته بشكل ذي معنى، فتقدم جيب من الباب الأمامي وقرع الجرس، مهيئاً أجمل ابتساماته ليبادر صاحبة المنزل بها. ففي نهاية المطاف، الرهان رهان والأوان قد فات الآن على الندم.

لم يسمع رنين الجرس في الداخل، فقرعه مجدداً، في الوقت الذي انفتح فيه الباب على مصرعيه ليجد جيب نفسه يحدق إلى شابة طويلة القامة، نحيفة الجسم تتحلى بأجمل عينين خضراوين رآهما في حياته. وكان شعرها داكناً أملس وفمها ممتلئاً يزيد من جدية تعابيرها.

حدث الابتسامة فجأة على شفتيه. هل أخطأ في العنوان؟ فهو يذكر تماماً أن جوش قال إنهن ثلاث شابات عاديات جداً. غير أن هذه الفتاة لا

تبدو عادية على الإطلاق ولا لطيفة أيضاً.

ـ نعم؟

ـ أنا جون جيبسون. أصدقائي يدعونني جيب. وأنت لا بد أنك فيبي أو بيللا أو كايت؟

قالت عابسة: «أنا فيبي. لم نكن نتوقع مجيئك قبل يوم الغد».

ـ في الواقع هذا ما كان مقرراً، ولكنني كنت جاهزاً للسفر وتسنت لي رحلة مبكرة ففكرت بالمجيء...

عيناه زرقاوان لم ترَ فيبي لهما مثيلاً في حياتها وكانتا تتراقصان بشكل جعلها تشعر بالأسف على نفسها لأنها ليست من النوع العفوي الذي يغيّر مشاريعه عندما يحلو له ويسافر فجأة وكأن الأمر أشبه بالنزول إلى المتجر الكائن عند زاوية الشارع. كان يوم فيبي سيئاً، فربة عملها سيليا كانت سيئة المزاج ونوبات غضبها ذلك اليوم تفوق العادة. وعندما نسيّ لها الإفلات من براثنها، اضطرت لانتظار حافلة النقل المشترك لأكثر من ٤٠ دقيقة، ليتبيّن لاحقاً أن الحافلة لن تصل إلاّ إلى محطة «كلافام». فعزمت فيبي على إكمال الطريق سيراً، غافلةً على أن ذلك سيستغرق منها أكثر من ساعة وأن الحذاء الذي تنتعله غير ملائم، ناهيك عن أنها تحمل ملفين ثقيلين. وعندما وصلت أخيراً إلى المنزل، اتضح لها أن المياه الساخنة قد نفدت وبالتالي لا تستطيع الاستحمام. ولكي تزداد الأمور سوءاً، ها هو جيب ذاك على عتبة منزلها.

يا للسخرية! عندما تكون الفتاة في أجمل حلّتها وأبى طلّتها، يظهر على بابها أحد المتدوبين أو المتسوّلين، وعندما تكون بأسوأ مظهر، يقرع باب منزلها أكثر الرجال جاذبية! عندما أمعنت النظر فيه، أدركت أنه ليس على ذلك القدر من الجاذبية ولكن عينيه كانتا شديدتي الزرقة والحيوية بحيث تأسران الناظر إليهما.

كادت فيبي تفقد رباطة جأشها أمام حيوية هذا الرجل الذي بدا مسترخياً جداً، على عكسها هي. بدا لها من النوع الذي يليق به التنزه

على متن يخت أو السباحة في عرض المحيط بدلاً من الوقوف في هذا الشارع المكفهر من لندن، متسائلاً عن سبب تحديقها به.

استجمعت فيبي شتات نفسها المتبعثرة وتنحت جانباً: «تفضل بالدخول».

غير أنه بقي مكانه، جاثماً عند عتبة الباب: «في الواقع، لدي مشكلة صغيرة».

واستدار ناحية سيارة الأجرة التي أقلته ثم أقرّ قائلاً: «لقد أضعتُ محفظة نقودي في مكان ما بين لوس أنجلس وقاعة المطار. لقد بلّغت الشرطة وطلبت إلغاء بطاقاتي المصرفية كلها ولكنني فكرت في أن أفضل ما يمكنني فعله هو أن أستقلّ سيارة أجرة راجياً أن يكون أحد في المنزل».

ونظر إلى فيبي بابتسامة وَجَدَتْها متعمدة ترمي إلى سحر النساء جميعاً.

ـ أليس لديك المال لتدفعي للسائق؟ سأرد لك المال طبعاً، حالما أتدبّر وضعي.

جاهدت فيبي لتقاوم تلك الابتسامة. بدا لها مثل سيب الذي يظهر فقط عندما يريد شيئاً، فيبدأ بالبحث في جيوبه «ليكتشف» أنه «نسي» محفظته، فهو يعرف كم أن كايت طيبة القلب.

ويبدو أن جيب هذا من الطينة نفسها، واحد من هؤلاء الرجال المحتالين الساحرين الذين يكفي أن يبتسموا لترتمي كل النساء عند أقدامهم، ويصبحن رهن إشارتهم.

لم تكن فيبي تلق بالرجال أمثال هؤلاء. فقد التقت الكثير منهم ورأت صديقات كثيرات مثل كايت، يتعذبن بسبب أنانيتهم. وهي حتماً لن تقع تحت سحرهم. كان جيب يتأمل تعابيرها وقلة حماسها، فقال لها: «ما من مشكلة. سأطلب من قائد السيارة أن يقلني إلى مكتب جوش وأنا واثق من أنني سأجد من يساعدني هناك».

من حسن الحظ أنه أتى على ذكر جوش. لقد أمضى صديق بيللا وقتاً لابأس به في هذا المنزل وفيبي تكنّ له معزّة كبيرة. وإذا كان جوش قد أوصى بجيب، فمن المستحسن ألاّ تتركه يحلّ مشاكله بالطريقة التي ينوي اعتمادها.

حاولت الابتسام قائلة: «لا حاجة إلى ذلك. سأحضر محفظتي».

ـ شكراً، أقدّر لك ذلك. سأعيد لك المال غداً.

هذا ما كان «سيب» يقوله لكايت أيضاً. وبينما كانت فيبي تقوده نحو المطبخ، في مؤخرة المنزل، قالت له شارحةً: «الفوضى تعمّ المنزل. في الواقع، كنّا سنتظلف المكان من أجلك الليلة بالذات».

وقد خططن أيضاً لتحضير وجبة خاصة على شرفه وبيللا هي التي ستشتري المواد اللازمة في طريقها إلى المنزل، ولكن الأشخاص العفويين أمثال جيب لا يفكرون مطلقاً في أن ما يفعلونه قد يفسد مخططات الآخرين.

ـ اسمعي، أنا لم أنشأ أن أقحم أحداً في المشاكل أو أزعج أحداً. وجوش قال إنكنّ ستعاملنني كصديق وتدعنني أساعدكنّ في التنظيف.

ـ الآن وقد ظهرت قبل الموعد المتوقع، سيكون عليك فعل ذلك.

قالت فيبي هذا وهي تتجه نحو الماء لتملأ الأبريق، بينما كان جيب يتأملها حذراً وقد لاحظ عدائيتها، إلاّ أنه لم يعرف ما الذي فعله بالضبط ليلقى هذا الاستقبال الجاف. ربما هي هكذا مع الجميع، لكن ذلك سيكون أمراً مؤسفاً بالنسبة إلى شابة تتمتع بمثل هذه البشرة المخملية وتلك القمم المثيرة... ثم تذكر أنه لا يجدر به أن يفكر هكذا، فقد قال له جوش إن عليه أن يكون رفيقاً ليس إلاّ. ولا شيء أسهل من ذلك!

عندما امتلأ الإبريق، استدارت فيبي لتواجهه، فأشاح جيب بنظره على الفور: «إنه مطبخ جميل».

كان المطبخ عبارة عن غرفة فسيحة تحيط بها خزانة من جهة وكنبة من الجهة الأخرى وتتوسطها طاولة من خشب الصنوبر، تحتها رفّ بعج

بالصحف والوصفات والملفات، ولكم تفاجأ جيب عندما رأى حناجر لطلاء الأظافر وهزّة نائمة على الصحف، في الغرفة نفسها.

كان الفرق شاسعاً بين هذا المطبخ ومطبخه حيث كل شيء نظيف ومرتّب بعناية مديرة المنزل. غير أن هذا المكان أكثر سحراً من أي مكان آخر، إذ يشعر المرء فيه بالاسترخاء دونما الاهتمام بأقوال الآخرين.

قالت فيبي وهي تميل النظر في أرجاء المطبخ، محاولةً رؤيته في عينيه:

ـ هنا نمضي معظم أوقاتنا، كما تلاحظ.

ـ لمن هذه الهرة؟

نظرت فيبي إلى الحيوان الصغير من دون أي عاطفة وهي تقول:

«إنها لكابت. تلك الفتاة تتمتع بأطيب قلب في العالم. هي دائماً تحضر إلى المنزل مخلوقات مشرّدة، ومن ثم علينا نحن أن نتدبّر لها من يأويها. ولكن هذه الهرة لن يأخذها أحد للأسف. على أي حال، هي لا تريد أن ترحل. فالمكان مريح هنا ثم إن كابت تفرط في تدليلها. أنا وبيللا نخاف كثيراً منها. أحذرك من الآن أنها كل صباح تبدأ بعضّ قدميك إلى أن تقدم له فطورها!».

لم يذكر جوش شيئاً عن الهررة المتوحشة عندما قام بالرهان، ولا أتى على ذكر طبع فيبي البارد هذا. وأمل جيب ألاّ يكون هناك المزيد من المفاجآت المزعجة بانتظاره.

وكأنما فهمت الهرة أن الحديث يدور حولها، نهضت من مكانها وتمطّت. وعندما رأى جيب أنيابها الشرسة، ابتعد عنها. راقبت فيبي الهرة وهي تخرج من المطبخ وللمرة الأولى، شعرت نحوها بشيء من العاطفة. فهذه على الأقل مخلوقة أخرى لا تتأثر بابتسامة جيب وعفويته. فكابت وبيللا ستقعان حتماً تحت سحره ولكن جيب سيكتشف أنها والهرة مصنوعتان من مواد أكثر صلابة.

* * *

٢ ـ رجل الظلّ

سكبت فيبي الماء المغلي في إبريق الشاي وراحت تحضر الفناجين.

ـ كابت وبيللا ستعودان بعد قليل. هل تودّ فنجاناً من الشاي؟.

أجاب مبتسماً: «طبعاً. أشعر الآن فعلاً بأنني عدت إلى إنكلترا».

ـ كم مضى من الوقت على وجودك خارج البلاد؟

فكّر جيب قليلاً ثم قال: «حوالى ١٨ سنة».

ـ إنها مدة طويلة.

قالت فيبي ذلك محاولة احتساب عمره. كان من الصعب التكهّن بذلك بمجرد النظر إليه، إذ يتحلى بصلابة رجل كبير وديناميكية شاب. لابد أنه في أواخر الثلاثينيات على الرغم من مظهره.

وثنت فيبي أن تأتي كابت أو بيللا، ففي هذا الرجل ما يعقد لسانها ويجعلها تشعر بالغرابة وبأنها مملّة. الأمر الذي ذكّرها بتلك اللحظة الرهيبة عندما راحت تبكي وهي تسأل «بين» عن سبب انفصالهما، وقد قال لها إن لبزا رقيقة، ناعمة وسلسة.

وليس مثلها هي!

يبدو أن جيب مسلٌّ أيضاً!!

ـ ماذا تعمل؟

سيكون مؤسفاً أن يظن هذا السؤال مملاً، فهي تحاول أن تُظهر بعض التهذيب. هذا ما يفعله الناس المملون. أجابها بإبهام وهو يتناول فنجانه: «أعمل في هذا وذاك».

حركت فيبي الشاي من غير داعٍ وهي تفكر في شيء آخر تقوله، وأخيراً سألته:

ـ هل تنوي العمل أثناء مكوثك هنا؟

ـ في الواقع، أسعى لتأسيس بعض المشاريع.

بدا ذلك كله غامضاً بعض الشيء بالنسبة إلى فيبي ولكن إذا أرادها أن تفكر في أعماله ومشاريعه مزدهرة، فليكن!

كان جيب ينظر حوله باهتمام، غير عابئ على ما يبدو بمحاولات المحادثة التي كانت تقوم بها. أمّا فيبي فلم تستطع إلاّ التحديق بعينيه الزرقاوين، متسائلة عما إذا كان يضع عدسات لاصقة أو لا، لكنها ما لبثت أن احمرّت خجلاً عندما اشتبكت نظراتهما. لا بد أنه ظن أنها مفتونة به. إنه الشخص الجذاب الوحيد الذي سبح رسمه في عينيها منذ «بين» وها هو ذا يفهمها بشكل خاطئ.

كانت بيللا وكايت دائماً تحثانها على الخروج مع رجل جديد لكي تتخطى ذكرى «بين» وكانت هي تعلم أن عليها بذل مجهود لذلك. ولكن رجلاً مثل جيب، يفترض دائماً أنه الأفضل، هو آخر ما تحتاجه. كانت تريد شخصاً لطيفاً وجديراً بالثقة وليس رجلاً يُشعرها بعدم الارتياح لمجرد جلوسه معها.

سألته عندما رأته لم يبذل أي جهد لخرق الصمت: «كيف تعرفت إلى جوش؟ أنت لا تشبهه على الاطلاق».

ـ حقاً! هذا رهن بالطريقة التي تنظرين فيها إليه.

ـ جوش رائع. إنه صديق بيللا ولكن أنا وكايت نحبّه كثيراً. إنه هادىء جداً لكنه من ألطف الأشخاص الذين أعرفهم. كما أنه لا يتباهى بنفسه على الإطلاق، وهو جدير تماماً بالثقة.

وفكرت فجأة: هذا غريب! جوش هو بالضبط نوع الرجل الذي تحتاجه ولكن لم يخطر لها يوماً أن تفكر فيه على أنه أكثر من صديق لبيللا.

ـ نعم إنه رائع.

وافقها جيب الرأي، من دون أن يفهم بالضبط الانطباع الذي أخذته عنه حتى الآن. وتساءل كيف استنتجت فيبي أنه ليس لطيفاً أو جديراً بالثقة مثل جوش وكل ما فعله حتى الآن هو إبداء إعجابه بمطبخها وقبول فنجان الشاي الذي قدمته له.

تابع حديثه، وقد رأى أن الوقت غير مناسب ليقول لها إن رأيها غير منطقي: «التقيت جوش في الإكوادور. كان يقود بعثة استكشافية في جبل شيمبورازو».

حدقت به ذاهلة: «هل تتسلّق الجبال؟»

ابتسم جيب وهزّ رأسه وعيناه الزرقاوان تنظران مباشرة في عينيها:

ـ لا، يعجبني التحدي ليس إلاّ.

شعرت فيبي بموجة من الحرارة تجتاحها وقد أسرتها نظرته الزرقاء تلك، فابتلعت ريقها، مجاهدة للاشاحة بنظرها.

كان ثمة أمر مميز بشأن هذا الرجل، فحضوره يملأ الغرفة ويمتص الهواء منها، بحيث يستحيل عليها التنفس. عيناه شديدتا الزرقة وأسنانه شديدة البياض وهو شديد الحيوية و...

وشعرت فيبي بالدوار يتملكها فبحثت عما يمكّنها من كسر ذلك التوتر الشحون، ولم تجد سوى بعض الأوراق تزيحها من مكانها.

ـ أنا آسفة لكل هذه الفوضى. كنت أحاول ترتيب المنزل قليلاً قبل أن تأتي بيللا وكايت.

استدار جيب ناحية الأوراق مستفسراً: «ما هو عملك؟».

ـ أنا مساعدة منتج في شركة تلفزيونية.

ولم تستطع فيبي إخفاء الفخر في نبرتها. صحيح أن عملها لا يستحق كل ذلك التباهي ولكن فيبي أرادت دخول عالم الانتاج التلفزيوني منذ صغرها وكانت مصرة على النجاح فيه، وهذه ليست سوى الخطوة الأولى على سلم النجاح.

ـ على ماذا تعملين حالياً؟

سألها جيب ذلك بتهذيب بالغ، متذكراً ما قاله له مالوري: أنت لا تبدي اهتماماً بعملي ولا فكرة لديك عن كيفية التكلم مع امرأة. أنت لا تفكر سوى في نفسك وفي رغباتك.

هذا هراء طبعاً، فكّر جيب في سرّه. فهو قادر تماماً على التكلم بجدية مع امرأة. وهذا ما يفعله الآن مع فيبي. إنه يسألها عن عملها ويصغي إليها من دون التفكير بجمال ثغرها أو لمعان شعرها...

وإذ أدرك فجأة أنه فقد التركيز على ما تقوله، حاول الإصغاء إليها مجدداً، ليسمع شيئاً عن المصارف.

ـ تقومين ببرنامج عن أحد المصارف؟

أجابته فيبي وقد بدت غير متفاجئة بردة فعله: «أنا أيضاً فكرت في أن ذلك قد يكون مملاً، ولكن تبين أنه أكثر إثارة للاهتمام مما نتوقع. هذا ليس مصرفاً عادياً. لقد أسسه رجل جمع ثروة في أسواق المال ثم قاجأ الجميع بإنشاء «مصرف إخلاقي».

وضع جيب الفنجان من يده: «ماذا؟»

ـ أعرف. يبدو الأمر مليئاً بالتناقض. أظن أن المقصود بذلك هو الاستثمار فقط في المشاريع الشعبية في البلدان النامية. لقد قمت ببعض الأبحاث على شبكة الانترنت ويبدو ذلك جيداً. سيشكل برنامجاً مثيراً للاهتمام.

ـ حقاً؟

ـ المشكلة الوحيدة هي أن ربة عملي تصرّ على أن يكون مؤسس المشروع محور البرنامج.

ـ حقاً؟ ومن هو؟

ـ ج.ج. جريف. الجميع يعرفه باسم ج.ج.ج وهو معروف بعدم إجراء المقابلات مع الصحافة.

ثم التقطت ورقة كانت قد سحبتها عن الانترنت:

ـ لقد اتصلت بكل هذه الأرقام ولم أصل إلى أي نتيجة. الردّ نفسه دائماً: يسرّ المصرف أن يدعم أي دعاية عن المشاريع ولكن ليس عن ج.ج.ج شخصياً.

ـ ما الذي تعرفينه غير ذلك عن هذا الرجل؟

كانت منشغلة بمشاكلها الخاصة بحيث لم تلحظ الابتسامة الغريبة على فمه.

ـ لا أعرف الكثير، ما عدا أنه ثري جداً.

ـ إذاً ليس مثيراً للاهتمام. أليس كذلك؟

ـ هذا ما أظنه. ولكن سيليا، ربة عملي، تصرّ على أن أتدبّر لقاءً معه بأي شكل. العمل على هذا البرنامج هو فرصتي الكبرى، لذا عليّ أن أقابله بأي ثمن. لكنني لا أعرف كيف أفعل هذا.

نظر جيب إليها عبر المائدة وقد استرخت تعابيره فجأة والتوت شفتاه: «لقد أمضيت بعض الوقت في الولايات المتحدة، وأعرف بعض الأشخاص هناك. سأسأل إن كان أحدهم يعرف شيئاً عنه».

نظرت فيبي إليه والشك في عينيها. لم تتصوّر أن شخصاً مثل جيب لديه المعارف التي تحتاجها ولكنها فكرت في أن من اللطف أن يعرض عليها المساعدة.

ـ شكراً، ولكنني متأكدة من أن أحد موظفي المصرف سيساعدني في النهاية.

ابتسم جيب وهو يلتقط فنجانه مرة أخرى، قائلاً: «كما تريدين».

ثم سادت لحظات من الصمت. ارتشفت فيبي الشاي، محاولة المحافظة على تماسكها إزاء طريقة جلوسه على مائدتها، وقد بدا وكأنه قد جلس هناك آلاف المرات من قبل.

ـ فهمتُ من جوش أنكِ مالكة المنزل. شكراً على استضافتك لي.

ازدادت عيناه زرقة وهو يبتسم، ففكرت فيبي أنه لا يُعقل أن تكونا حقيقيتين. وسرعان ما أشاحت بنظرها.

ـ لا شكر على واجب.

ـ هل من قواعد عليّ الالتزام بها أثناء إقامتي؟

فكرت فيبي في السؤال قبل أن تجيبه: «ليس حقاً. ولكن مهما فعلتَ، إياك أن تخبر كايت عن أي حيوان شريد رأيته إلاّ إذا أردت أن تراه في سريرك».

ـ هل هذا كل شيء؟

ـ ليست فكرة جيدة أن تكلّمني في الصباح قبل أن أحتسي قهوتي. ولكن هذه نصيحة أكثر منها قاعدة.

ـ يبدو ذلك سهلاً. أظنني سأتدبر أمري.

ومنحها واحدة أخرى من ابتساماته تلك المثيرة للاضطراب فوجدت فيبي نفسها تهبّ واقفة: «هل أريك غرفتك؟».

وفتحت الباب المؤدي إلى الطابق العلوي: «أخشى أنها ليست كبيرة جداً».

«ليست كبيرة جداً» ليست بالعبارة المناسبة، فالغرفة لم تكن كبيرة على الإطلاق، بل قل إنها أشبه بصندوق كبير. تحتوي على سرير وخزانة صغيرة وبضعة رفوف معلّقة على الحائط. وبدخولهما الغرفة معاً..لم يعد من مكان لأي شيء آخر.

ـ كم من الوقت سكنت آخر فتاة هنا؟

ـ حوالى ستة. كانت آخر من دخل المنزل، لذا غرفتها هي الأصغر مساحة.

سرّ جيب لسماع ذلك، فما كان ليروقه أن يعرف أن أحداً يعيش في غرفة أصغر من هذه.

ـ لم تكن كارو تهتم، فقد كانت تمضي معظم وقتها مع خطيبها وقد تزوجا للتو، ولهذا السبب تبحث عمّن يحلّ مكانها.

ثم تابعت قائلة: «الإيجار أدنى بسبب ضيق المساحة ولكنك لست مضطراً لأخذ الغرفة إن كانت صغيرة جداً!».

ـ لا، لابأس. ليس لدي الكثير من الأغراض.

لم يبدُ عليه أنه من النوع الذي يزعج نفسه بالحقائب بأي شكل من الأشكال. وشعرت فيبي أن جزءاً منها يحسد الأشخاص أمثال جيب الذين يتجنبون الالتزام والمسؤولية، ويتركون الآخرين يلملمون الفلوب المحطمة التي يتركونها وراءهم، ولكن الجزء الآخر منها كان يتزعج من مثل هؤلاء.

ـ نعم. فأنت لن تبقى هنا إلى الأبد.

قالت هذا فجأة، متمنية لو يتنحى قليلاً، فالغرفة صغيرة بما يكفي من دون أن يقف هو وسطها، مالئاً إياها بحضوره. ولو لم يكن ذلك سخيفاً، لصعدت على السرير وهربت من هناك، فهي الطريقة الوحيدة لتخطاه من دون أن تمرّ بالقرب منه. وبمجرد التفكير بذلك، جعل فيبي ترتعش وتتوتر. لقد مضى وقت طويل لم تقترب فيه إلى هذا الحد من رجل جذاب. وكرّت على تنفسها الذي كاد ينخطف وابتعدت ناحية النافذة قدر استطاعتها في حين كان جيب يجيل النظر في أرجاء الغرفة. وخلراً لضيقها، لم يستغرق منه ذلك وقتاً طويلاً ولكن فيبي شعرت بأن ذلك استلزم منه ساعات، قبل أن يقول أخيراً: «هل لي أن أرى بقية المنزل؟».

شعرت فيبي عندئذٍ بالارتياح لأنها ستتمكن أخيراً من استعادة أنفاسها. وبعد أن جال في أرجاء المنزل، قال جيب وهو ينزل إلى الطابق السفلي برفقة فيبي: «إنه منزل جميل. منذ متى تعيشين هنا؟».

ـ منذ بضع سنوات. اشتريته مع خطيبي، عندما كنا لا نزال حبيبين. عاش هو فيه سنة ثم قرر «بين» أن يرحل لأنه تعرف إلى امرأة أخرى، فتكفلت بدفع الرهن.

كانت فيبي فخورة بالهدوء في نبرة صوتها، ثم لم يكن من داعٍ ليعرف جيب بوجع القلب وأشهر العذاب الطويلة التي عانتها بعد رحيل «بين».

ـ لم أستطع تحمّل مصاريف العيش بمفردي، فقررت تأجير غرف المنزل، وكان من حظي أن كايت كانت تبحث عن غرفة للإيجار في الوقت نفسه. كنّا في الجامعة نفسها وهي تعرف بيللا منذ أيام المدرسة. وكارو صديقة بيللا، وهكذا سارت الأمور بشكل ممتاز إلى أن قررت كارو الزواج. لست أدري إن كنّا سنجد من يحلّ مكانها ويتمتع بمثل مواصفاتها.

ـ ألا يمكنكنّ نشر إعلان في الصحيفة؟

ـ بلى وهذا على الأرجح ما سنفعله في نهاية المطاف. ولكن من الصعب الاختيار، فنحن نبحث عن صديقة أكثر منه عن مستأجر.

تذكر جيب فجأة رهانه مع جوش، فضاعف اهتمامه بالحديث.

ـ كيف تعرفين أن هذا الشخص صديق أم لا؟

ـ هنا المشكلة. لا يمكنك أن تعرف. إنه كشرارة تنطلق بينكما.

راحت تكدّس الأوراق في المطبخ، لترتب الطاولة قليلاً، بينما كانت في الوقت نفسه تفكر في سؤال جيب: «أظن أن الصديق هو شخص يسهل التكلّم معه، يضحك للأمور نفسها ولا يملّ من حديثك مهما طال...».

كان ذلك مبهماً بعض الشيء لكن جيب وجد أن باستطاعته القيام بكل هذا.

اقترح عليها قائلاً: «ربما عليك ذكر هذا في الاعلان؟».

ـ لست أدري إن كان هذا سيساعدنا. يمكن أن يأتي شخص قادر على القيام بكل هذا ولكن لا تشعر بالارتياح معه. الصداقة أمر غريب فعلاً. لا أعتقد أن بإمكانك تحديد ما يجعلك ترتاح لأشخاص دون آخرين».

تنهّد جيب وهو يفكر في أنها لا تعتبره من ضمن تلك الفئة. أقلّه ليس بعد!

بدت له فيي تحدياً أصعب مما كان يتوقع، ولكن التحديات وُجدت

لتُواجَه. وهو لم يستسلم بعد. عليه أن يربح الرهان.

ـ كيف تجري الأمور مع جيب؟

كان جوش وفيي جالسين على الكنبة، بينما كانت بيللا وكايت تحضّران العشاء في المطبخ. لم توفّرا أي جهد البتة، فقد نظّفتا المائدة وأخلتاها من الفوضى العارمة، ووضعتا عليها أطباقاً.

كانت بيللا وكايت منهمكتين بتحضير المقبّلات، بينما كان جيب يفتح زجاجة المرطبات. أمّا فيي وجوش فجلسا منفردين، إذ إن مهمة غسل الأطباق التي أوكلت إليهما لم تحن بعد.

قالت لجوش: «كايت وبيللا مفتونتان تماماً بضيفنا».

ـ وأنت لا؟

أبعدت فيي نظرها عن جيب الذي كانت تتأمله وأجابت قائلة:

ـ آخر ما يمكنني قوله عن نفسي هو أنني مفتونة به.

ـ لماذا؟ ما الذي فعله؟

هنا المشكلة، فهو لم يفعل شيئاً. ولا يمكنها حتى أن تمسك مسألة أجرة التاكسي ضده، فقد سدّد لها ما دفعته بالكامل ومن دون أي تأخير.

كيف عساها تشرح لجوش أن جيب يثير اضطرابها؟ لم يمضِ سوى يوم واحد على وجوده في المنزل وها قد أصبح من أعزّ أصدقاء كايت وبيللا، وهو يحول في المنزل وكأنه يعيش فيه منذ زمن. يجدر بفيي أن تكون سعيدة لارتياحه في منزلها ولكنها تحوم حوله متوترة الأعصاب.

ـ هو ليس مريحاً، أليس كذلك؟

سألت فيي ذلك فانفجر جوش ضاحكاً.

ـ عليك أن تعتادي عليه.

لم تتصور فيي أن بإمكانها الاعتياد على جيب، ففي كل مرة يدخل فيها الغرفة، تحبس أنفاسها وكأن زوبعة عيبه وابتسامته ترعبانها. لا يحق لأحد أن يكون على هذا القدر من الجاذبية والاسترخاء طيلة الوقت!

تمنت لو أنها مثل كايت وبيللا، تستطيع أن تعامله كرفيق آخر، لكنها لم تستطع. ثمة خطب في جاذبيته يمنعها من التركيز. شعرت فجأة بالسوء إذ لم تكن جاهزة بعد لعلاقة جديدة، أياً يكن رأي صديقاتها. كان «بين» يعني لها الكثير في حياتها وليس من السهل عليها نسيانه بسهولة، أو ربما لن تستطيع نسيانه مطلقاً، وإن استطاعت، فلن يكون ذلك حتماً مع شخص مثل جيب، فهو ليس من نوع الرجال الذين يروقون لها.

إذاً لماذا لا تستطيع الاعتياد عليه كما اقترح عليها جوش؟ قالت له:

ـ سأحاول.

في الجهة الأخرى من المطبخ، كان جيب ينظر إلى فيبي تتكلم مع جوش. فتساءل للمرة الأولى إن كان هناك شيئاً في تلك الصداقة. لقد وجد نفسه يحسد جوش على صداقته مع الفتيات الثلاث، اللواتي بدون جذلات لرؤيته. حتى وجه فيبي أشرق سعادة واقتربت منه لتعانقه. شعر جيب بأن فيبي ليست من النوع الذي يعانق أياً كان، ولا بدّ أن هذه علامة تدل على قبولها الشخص الآخر. وراح جيب يتخيل عناق فيبي. لا بدّ أن رائحة عطرها ذكية جداً، فقد تناهى إليه شيء منه في كل مرة تمر فيها من أمامه.

وقرر جيب أن يسعى إلى معانقة فيبي، بطريقة ودّية وبريئة طبعاً. سيكون الأمر أشبه بمعانقة كايت وبيللا اللتين طوقتاه بذراعيهما ما إن رأتاه. كلاهما ودود بحيث يصعب ألاّ يتصادق المرء معهما. هو يعرف الآن عن هوس كايت بشاب تدعوه بيللا وفيبي باسم «سيب القدر»، كما سمع الكثير عن بيللا من جوش، بحيث أصبح يعرفها جيداً.

لكن فيبي... فيبي مختلفة! إنها أكثر تحفظاً وتأثراً. فأدرك جيب أنه عليه أن يعمل بجهد لِيكسب صداقتها ويفوز بعناق. ولكنه لو فعل ذلك، فالأمر سيستحق العناء فعلاً.

نالت القطائر التي حضّرتها بيللا إعجاب الجميع أمّا كايت فحضّرت الدجاج المشوي، وقامت الفتاتان بإعداد قالب حلوى بالقراولة على شرف المناسبة. في نهاية العشاء كان الجميع مسترخياً وشعر جيب كما لو أنه يعيش في ذلك المنزل منذ الأزل.

دفعت فيبي كرسيها إلى الخلف قائلة: «سأعدّ القهوة».

بينما كان جيب يلتهم القطعة الأخيرة من الحلوى، فكّرت فيبي أن ثمة جاذب قوي لدى الرجل الذي يأكل بشهية.

ـ كيف كانت سيليا اليوم؟

سألت بيللا ذلك فتنهدت فيبي وهي تملأ الإبريق ماءً.

ـ كالعادة! كابوس يطاردني.

مالت بيللا إلى الأمام وقالت لجيب: «ربة عمل فيبي مريعة. أنا وكايت نحب سماع أخبارها. عندما تعلم ما تعانيه فيبي مع ربة عملها، ستحمد ربك على رب عملك».

سألت كايت: «ماذا فعلت الآن؟».

ـ إنها مهووسة كلياً بذلك الرجل الذي يدير المصرف والذي تريد إعداد برنامج عنه. وهي الآن تهددني بالطرد إذا لم أتدبّر لقاءً معه.

ـ لا يمكنها فعل ذلك.

ـ إنها شركة صغيرة والكثير من الأشخاص يريدون العمل في التلفزيون، لذا يمكنها أن تفعل ما تشاء. أنا شخصياً لا أفهم لماذا لا يمكننا التركيز على النشاطات التي يقوم بها المصرف بدلاً من مطاردة ذلك الرجل.

ثم تابعت فيبي قائلة: «أخشى أن سيليا تريد القيام بعمل فظيع». فنظرتها تقول إن ما من أحد يستطيع جمع ثروة إذا كان محباً للغير بهذا الشكل. وبالتالي إن كان ج.ج جريف يريد أن يتشيء مصرفاً، فهذا لأنه يكسب شيئاً لنفسه. إذاً، ليس عليّ فقط أن أتدبّر موعداً معه، إنما عليّ أيضاً أن أبحث عن أي قذارة قد أجدها عنه لكي تتمكن سيليا من تحذيره

بها وتخمل من نفسها المراسلة الأولى».

قال جيب بكسل: «ربما ما من فذارة تجديها».

وافقته فيبي قائلة: «هذا ما يبدو حتى الآن. كل ما عرفته عنه هو أنه بين الحين والآخر يذهب للتسلق».

قالت فيبي ذلك وهي تبحث عن البن في كل مكان: «أين اختفى البن»؟

أجابتها بيللا: «في البراد».

ثم عادت إلى المشكلة المطروحة.

- ربما التسلق هو بداية الخيط الذي سيسمح لنا بإيجاده. عالم التسلق صغير. أليس كذلك يا جوش؟ لا بد أن أحداً التقاه هناك. الأثرياء دائماً بحاجة إلى من يرافقهم عندما يمارسون رياضة خطرة كهذه.

قالت ذلك بكل لفة وكأنها أمضت سنوات مع الأثرياء والمشاهير.

- هذه فكرة جيدة. بالمناسبة يا جوش، أنت ترتاد الجبال كثيراً، ألم يسبق لك أن التقيت أحداً بهذا الاسم؟

- لا يعني هذا الاسم لي شيئاً. وأنت يا جيب، لقد تسلقت كثيراً، هل سمعت عنه؟

استند جيب إلى الخلف في كرسيه ولوى شفتيه وهو يجيب:

- المصرفيون ليسوا النوع الذي أحب إمضاء الوقت معهم. إنهم مملون.

أردفت فيبي قائلة: «حسناً، لا أظن أن هذا الرجل مل وإلاّ لم يرفض إجراء المقابلات؟ معظم من في مركزه يفعلون أي شيء مقابل الدعاية. هروبه هذا يجعل الأمر يبدو وكأن لديه ما يخفيه. ربما سيليا محقة في هذا».

أجابها جيب: «قد يكون هناك ألف سبب وسبب يدفعه لتجنب الصحافة».

تدخلت كايت قائلة: «نعم، ربما تعرّض لحادث فظيع شوّه شكله

للأبد. وزوجته توفيت في الحادث نفسه، وكذلك طفلهما الوحيد وكليهما».

- آه، لا ليس الكلب أيضاً!

قال جيب ذلك وقد صدمته هذه القصة. لكن كايت أومأت مصرّة:

- بل إنه كلب صغير يُدعى راڤي. وهو منذ ذلك الحين لم يسامح نفسه، فانغلق عن العالم، رافضاً مواجهة أحد.

سادت لحظة صمت خرقتها فيبي التي عادت بالقهوة، وهي تشرح لجيب: «كايت خصية المخيلة. سوف تعتاد عليها».

- حسناً، لقد أقنعتني. أظن أن عليك أن تتركي الرجل المسكين وشأنه ونكفّ عن ملاحقته من أجل المقابلة.

تنهدت فيبي: «يا ليتني أستطيع ذلك! أنا واثقة أنه في الواقع رجل عمل ونجنّبه المقابلات ليس سوى طريقة ليبدو مهماً. أظنني سأقول لسيليا إنني أتعقبه مع أمل أن تنساه في النهاية».

* * *

- هل من رسائل؟

سألت كايت ذلك وهي تضع حقيبة يدها على الطاولة. لقد مضى أسبوع على حضور جيب، وها قد أتت الآن إلى المنزل لتجد فيبي وبيللا جالستين تشربان العصير وتتكلمان عن أرباب عملهما.

فأجابتها فيبي: «لا. وقبل أن تسألي، نعم الهاتف شغال ولم نجد أي رسائل على عتبة الباب. ما من بريد الكتروني أو تلغراف أو أي شيء. لو أي أزهار منذ ستة أسابيع. واجهي الأمر كايت. «سيب» لن يتصل».

- لماذا يتصرّف على هذا النحو؟

أجابت بيللا بصرامة: «لأنه سيء. فيبي محقة. سيب لن يحب أحداً سوى نفسه. ناسبه أن يخدعك فترة ولكن يبدو أنه عثر على فتاة أخرى

يستغلها».

تهاوت كايت على الأريكة، متنهدة: «ألا تظنين أن حافلة صدمته وفقد ذاكرته؟».

ـ لا.

ـ أو ربما ذهب إلى دفن جدته على جزيرة نائية، انقطعت فيها الخطوط الهاتفية بسبب العواصف؟

ـ لمدة ستة أسابيع؟

ـ حسناً، ربما يعمل على برنامج حكومي سري ولا يُسمح له بالاتصال بأحد و...

ـ لا، كايت.

تنهدت مجدداً: «أعرف، أعرف، أنتما محقّتان. لن يتصل».

ووقع نظرها على الهاتف الذي كان شبه مدفون بين الأوراق المتكدّسة على الأريكة، فانفجرت ببلا وفيبي بها في الوقت نفسه:

ـ كايت، إيّاك أن تتصلي به!.

ـ كنت أرى فقط إن اتصل أحد.

وعندما راجعت لائحة المتصلين، قالت: «لا لم يتصل سيب. إنما هناك رقم البريستول على ما أظن».

أرجعت فيبي رأسها إلى الخلف، متنهدة: «لا بد أنها أمي. تريد أن تكلّمني عن زواج «بين».

فسألت ببلا بفضول: «لن تذهبي إلى زفافه، أليس كذلك؟».

ـ عليّ ذلك. عائلة بين وعائلتي مقرّبتان جداً. سيبدو الأمر وكأن أخته لم تذهب إلى زفافه.

ـ وإن يكن! لا يمكنهم أن يتوقعوا منك أن تحتفلي بزفاف خطيبك إلى أخرى.

ـ هم لا يعرفون أن قرار الانفصال لم يكن مشتركاً. لقد فرح الجميع عندما أعلنّا أنا وبين خطبتنا، لذا لم أستطع إخبارهم. أنا أحب بينلوبي

وديريك. والدا بين أقرب إليّ من أعمامي وعماتي. لقضي عليهما حتماً لو لم أدّع أنّ بين وأنا اتفقنا على الانفصال.

ـ لا بدّ أنهما شعرا بشيء عندما قال لهما إنه سيتزوج ليزا.

ـ لم يخبرهما بالأمر مباشرة. شكّا بشيء ولكنني أظن أنهما يفضّلان أن يصدّقا بأنني سعيدة بهذا الوضع، وإذا لم أظهر في الزفاف، سيبدو الأمر عكس ذلك.

ومرّرت فيبي أصابعها بشعرها بإيماءة يائسة: «عندئذٍ سيغضبان وسيُفسد الزواج بالنسبة لهما وهذا ما لا يمكنني فعله بهما. ثم إن أمي وبينلوبي قلقتان من أكون محرجة أو أن يكون «بين» وليزا كذلك...».

ثم تنهدت متابعة كلامها: «أظنها تخشى ضمناً من أن أثير فضيحة في الزفاف. وفي الواقع أخشى الذهاب إلى الزفاف بمفردي. تعلمان ما يثرثره الناس عن العازبات اللواتي يلفن الثلاثين من العمر، وسيكون الوضع أسوأ في العرس لأنه كل من هناك يعرف أننا أنا وبين كنّا مخطوبين، وسوف يشعرون بالأسى حيالي».

ـ هذا مؤلم. صح؟

قالت كايت ذلك متعاطفة: «إمّا ذلك وإمّا سيسألونك إن كنت تفكرين بالزواج، وكأن لديك خياراً في هذه المسألة!».

كانت ببلا تفكر في المشكلة، فقالت: «ما تحتاجينه هو رجل».

ـ وكأنني لا أعرف ذلك!

ـ لا، أنا جادة. عليك أن تذهبي إلى الزفاف برفقة حبيب تتباهين به أمام الجميع.

فقالت كايت ساخرة: «أجل، كم من السهل إيجاد حبيب! ألم تسمعي الأنباء الرسمية: لم يعد في لندن رجال عازبون مستقيمون فوق الثلاثين من العمر. ناهيك عن أن لا أحد يتمتع ولو بالقليل من الذكاء

والاستقرار المادي. هذا إذا عثرتِ على رجل لا يخاف الارتباط... إنني الأمر!».

فقالت بيللا: «ما من سبب يمنع فيي من اختراع شخص بهذه المواصفات!».

***

٣ ـ خدمة... غريبة

ساد الصمت لحظة ثم نظرت كايت إلى بيللا نظرة احترام.

ـ هذه فكرة لامعة يا بيللا.

لكن فيي لم تتأثر كثيراً بالفكرة: «لا أرى كيف يمكن لحبيب وهمي أن يقيدني، مهما كان مذهلاً».

ـ المسألة هي أنه لا يجب أن يبدو وهمياً. كل ما عليك فعله هو استخدام شاب يدعي بأنه حبيبك المزعوم.

حدقت فيي ببيللا مصعوقة: «أنت تمزحين! لا يمكنني فعل ذلك».

ـ أنا لا أقترح أن تختاري شاباً غبياً. لستِ أول امرأة تحتاج إلى شاب، في ظرف كهذا. لا بد أن هناك وكالات مشهورة تؤمن أشخاصاً جيدين معتادين على الأعراس ووجبات العشاء الرسمية.

أضافت كايت متحمسة: «وبما أنك تدفعين له، يمكنك أن تجعليه يقول كل ما تريدينه. اختاريه وسيماً وادّعي أنه ناجح وثري أيضاً. يمكنك أن تخبري الجميع بأنه يعشقك، ويطلب منك الزواج كل يوم، ولكنك لستِ واثقة من أنه هو الشخص الذي تريدينه، لذا فإنك تجعليه ينتظر».

ـ ولماذا أفعل هذا؟

ـ لكي يحسدك الجميع طبعاً، أقله النساء الأخريات. وإذا ما التقاك أحدهم في وقت لاحق وسألك عمّا حلّ به، يمكنك أن تقولي إنك

مشت من مغازلته الدائمة.

لم تستطع فيي أن تمنع نفسها عن الضحك: «لا أتقبل نفسي أقول هذا لأمي».

تدخلت بيللا، معيدة الأمور إلى نصابها: «كايت تعقّد الأمور. كل ما أنت بحاجة إليه هو شاب جذاب وبيّ الطلعة، لكي يجعلك الجميع عليه يدلاً من أن يشفقوا عليك أو يغطّوا عيون أزواجهم كلّما اقتربت منهم!».

أخذت فيي تتصور ما سيكون عليه الوضع لو ذهبت إلى زفاف بين متأبطة ذراع رجل جذاب ويبدو ثرياً. وكان عليها أن تقرّ بأن لتلك الفكرة حسناتها. فأولاً، سوف ترتاح أمها وبينيلوبي وتستمتعان بالزفاف كما سيسهل عليها مواجهة بين وليزا.

ـ لست واثقة من أن بإمكاني القيام بذلك.

فأجابت بيللا متفضة من مكانها: «بل يمكنك ذلك. أولاً عليك أن تلمّحي لأمك بأنك التقيت أحداً مميزاً في حين تندبر لك شاباً تلتقيه دورة».

ـ لست أدري...

قالت فيي ذلك وقد أخافها حماس بيللا وكايت. لطالما كانتا تدفعانها للقيام ببعض الأمور ومن ثم ترفعان يديهما مستسلمتين عندما يتبين أن ما فعلتاه كان خطأ فادحاً. ولون الحمّام الزهري خير مثال على ذلك. ثم قالت بيللا: «يمكننا أن ننظر في دليل الصفحات الصفراء. ولكن أين هو على أي حال؟».

وبدأت تبحث عن الدليل بين الأوراق والكتب المكدّسة على الطاولة: «أنا واثقة من أنني رأيته هنا. يا إلهي! علينا أن نرتّب المكان قريباً، لا يمكنني إيجاد شيء. آه ها هو قفازي الضائع!».

وحملته منتصرة ثم رمته ناحية الأريكة فوقع خلفها، مختفياً تماماً.

ـ وجدته!

هتفت بيللا وقد عثرت على الدليل تحت كومة من الأوراق لكن كايت قالت ببطء: «انتظري. لدي فكرة أفضل».

نظرت إليها بيللا مشككة: «لا تقولي لي قصة أخرى من نسج خيالك؟».

ـ لا، لا. الأمر بسيط وبغاية الوضوح. لست أدري كيف أن أياً منكما لم تفكر بذلك. لمَ اللجوء إلى وكالة إذا كان المرشح الأفضل يعيش هنا في المنزل؟

ـ من؟

ـ جيب طبعاً.

واستدارت كايت إلى الخلف، سعيدة بفكرتها اللامعة.

ـ جيب؟

حدّقت الفتاتان الأخريان بفيي التي بدت مصعوقة وهي تقول:

ـ لن أطلب ذلك من جيب!.

ـ ولمَ لا؟ عليك أن تعترفي بأنه جذاب جداً.

لكنّها اعترضت قائلة: «ليس كثيراً».

لم تستطع كايت أن تصدّق أذنيها: «بربّك يا فيي! إنه رائع وأنت تعلمين ذلك!».

ـ إنه معقّد جداً بنفسه، ثم لا بد أنه يضع عدسات لاصقة. لا أحد يتمتع بعينين بمثل هذه الزرقة!

أجابتها كايت: «لا تكوني سخيفة! بالطبع عيناه طبيعيتان. ثم لا بد أنك تجدينه جذاباً إذا كان عيبه الوحيد بالنسبة إليك هو زرقة عينيه!».

ـ لا أنكر أنه بيّ الطلعة ولكنني أظن أنه لكان أكثر وسامة لو لم يكن يعرف ذلك.

هزت كايت رأسها: «لا أعرف لماذا لا يروقك. أظن أنه رائع. إنه لطيف وسهل المعشر، ولا ينزعج من الفوضى التي تحدثها في المنزل ولا يمر على أن يصحّح لك عندما تقولين إن تلك المنطقة تبعد حوالي ٥٠٠

ميل، في حين أنه يعرف أنها تبعد ٤٩٧ ميلاً.

ـ ألا تظنين أن هذا مبالغ فيه؟ إنه مثالي جداً بالنسبة لي. لماذا ليس لديه حبيبة ما دام رائعاً إلى هذا الحد؟

ـ ربما هو مخنث.

ـ حتماً لا!

قالت فيبي ذلك وقد بدا لها أن جيب يفازل جميع النساء وهذا أشبه بالتنفس بالنسبة إليه، ولكنه طبعاً لم يجرؤ على ذلك معها.

قالت فيبي: «أفضله مخنثاً».

لكن كايت تدخلت: «لا أظنه كذلك. ربما قلبه محطم مثلنا».

لكن فيبي لم تقتنع بذلك: «إنه ماهر إذاً في إخفاء الأمر. فهو دائماً يبتسم، حتى عندما لا يبتسم».

طرفت الفتاة بعينيها: «ماذا؟».

ـ تعلمان...

فات الأوان. لقد سمعت لهجتها.

ـ لا.

ـ بلى. تشعران دائماً بأنه بريء.

ـ فيبي، هذا اسمه حس الفكاهة.

قالت بيللا ذلك وكأنها تشرح لطفل صغير: «لو كان الرجال جميعاً مثل جيب، لكانت الحياة أسهل بكثير!».

بدأت فيبي تصاب باليأس إذ يبدو أن صديقتيها تعجزان عن فهم مدى العصبية التي يجعلها جيب تشعر بها.

راحت تنقر على ذراع الكرسي، محاولة إيجاد الكلمات المناسبة للشرح: «إنه غامض حول كل شيء. نحن لا نعرف شيئاً عنه. صح؟ أعني، ما الذي يفعله طيلة النهار؟ يتحدث عن مشاريع مبهمة، وبالنسبة لي، أرى أنه يمضي وقته كله بالتسكع هنا».

قالت كايت بصوت منطقي: «حسناً! لديه حاسوب وهاتف نقال.

وعلى الأرجح يمكنه أن يعمل من هنا من دون أن يذهب إلى المكتب».

ـ لا يبدو لي أنه يعمل. لم ألتقِ يوماً رجلاً بمثل كسله!

ـ إنه مسترخٍ. وهذه علامة جيدة.

ـ لا يحق لأحد أن يكون على هذا القدر من الاسترخاء.

قاطعتها بيللا، لافتة الانتباه باللمعة التي راحت تنقرها على كوبها:

ـ ألن ننتهي من هذا الجدل؟ قولي ما شئتِ يا فيبي ولكن الواقع أن كايت محقة. جيب سيكون ممتازاً. هو وسيم ووالق من نفسه والأفضل من ذلك أنه يسكن هنا، فإذا اتصلت أمك أو أي شخص آخر وردّ هو على الهاتف، سيزداد المتصل قناعة بعلاقتكما!.

ـ ربما ولكن

ـ وأنا واثقة من أنه مستعد لمساعدتك.

قالت كايت ذلك قبل أن يتسنى لفيبي أن تفكر بمزيد من الاعتراضات، ثم تابعت قائلة: «يمكنك أن تعرضي المال عليه، إن كان هذا ما تريدينه. أظنها طريقة تساعده من دون أن تجرح كبرياءه».

ـ آه أجل! نحن نقلق على كبرياء جيب. ماذا عن كبرياني أنا؟

ـ فكري بالأمر على أنه عقد عمل وهو كذلك في مطلق الأحوال. كنتِ جاهزة للذهاب إلى وكالة ومن يدري أي نوع من الرجال المهووسين كان يمكن أن تقعي عليه. على الأقل جيب خيار أفضل!

فتحت فيبي فمها لتقول إنها لم تكن أبداً مستعدة للذهاب إلى أي وكالة، لكن الباب الأمامي انفتح فتوقفت عن الكلام.

ابتسمت بيللا وكأنها ربحت لتوها: «ها هو جيب. يمكنك أن تسأليه يا فيبي».

ما هي إلاّ لحظات حتى دخل جيب المطبخ بنشاطه وحيويته المعتادة وكأن ريحاً نفخت في المكان، وكالعادة وجدت فيبي نفسها عاجزة أمام تأثير ابتسامته.

ـ مرحباً أيتها الفتيات. لقد أحضرت مزيداً من العصير.

عندئذٍ همست كايت في أذن فيبي: «أرأيت! كيف تقولين إنه ليس رائعاً؟».

تظاهرت فيبي بأنها لم تسمع. لن تسمح لكايت وبيللا بأن يجرّاها إلى هذه الفكرة السخيفة! لا ضير من الذهاب إلى زفاف بين بمفردها!

لكن بيللا قالت: «جيب، كنّا نتكلم عنك لتوّنا».

ـ حقاً؟

واستدار جيب ناحيتهنّ بعد أن كان يضع المرطبات في البراد.

ـ فيبي تريد أن تطلب منك شيئاً.

حذّرت فيبي بصديقتها، محذّرة: «بيللا!».

ـ إسمعي فيبي. لم نكفّ عن القول إنك خائفة من الذهاب إلى ذلك الزفاف. وكنت خائفة على كبريائك. إليك طريقة تحافظ على كبريائك. ما السوء في طلب ذلك من جيب؟

أخذ جيب ينقل نظراته من فتاة إلى أخرى: «طلب ماذا؟».

ـ هيا يا كايت، لنترك فيبي تسأله بمفردها.

قالت بيللا ذلك ونهضت من مكانها: «سندعكما وحدكما، بعد ذلك يمكن لفيبي أن تقول إن الذنب ذنبنا نحن».

رفع جيب حاجبه بتسلية ثم رمق فيبي بنظرة متسائلة، فرفعت ذقنها: «لن أطلب منك شيئاً».

قالت ذلك بشجاعة ولكن كايت وبيللي كانتا قد اختفتا، ولم تستطع اللحاق بهما لأن جيب كان يقف أمام الباب، وعيناه الزرقاوان تشعّان بضحكة مثيرة للاضطراب.

ـ نعم.

نظرت إليه فيبي: «نعم ماذا؟».

ـ نعم. سأفعل ما تطلبينه منّي.

ـ لكنك لا تعرف ما سأطلبه.

ـ هل هو أمر غير قانوني؟

ـ قطعاً لا!

ـ غير أخلاقي؟

ـ لا.

هزّ جيب كتفيه: «ولماذا أرفض إذاً؟».

أدركت فيبي بأسى أنه استدرجها لتتكلم عن فكرة كايت وبيللا، الأمر الذي لم تشأ فعله! ولكنها لا يمكن أن ترحل في وسط الحديث.

ـ لأنه محرج.

ـ لك أو لي؟

ـ لكلينا.

ـ يبدو الأمر ممتعاً!

اقترب جيب ناحيتها، فوجدت فيبي نفسها تستند إلى الخلف مجدداً في كرسيّها.

جلس على ذراع الكنبة وقال لها مشجعاً: «هيا، بعد أن أخبرتني هذا، عليك أن تكملي!».

لم يكن قريباً جداً منها، ولكنها كانت تشعر به في كل ذرّة من كيانها وتمنّت لو أنه يعود إلى حيث كان بجانب البراد. لو أنه ليس على هذا القدر من... السيطرة!

قالت متمتمة: «كانت فكرة سخيفة».

ـ أفضل الأفكار أسخفها في البداية. لو كانت جيدة، لفكّر فيها أحد من قبل.

ـ لكن هذه سخيفة فعلاً.

ـ لمَ لا تدعيني أحكم بنفسي؟

أشاحت فيبي بنظرها عن عينيه الزرقاوين الدافئتين، وحدقت ناحية القوطى المتكدسة على الطاولة. ثم قالت مستسلمة: «حسناً، أنا بحاجة إلى حبيب».

ساد صمت قصير ثم قال: «في هذه الحال، يسرّني أنني قلت نعم».

احمرّ لون وجنتيها، مع أنها لم تكن تنظر إليه.

ـ ليس حبيباً حقيقياً! لا تكن سخيفاً.

ـ حسناً.

ـ الأمر أن...

تلعثمت فيبي وهي تخبر جيب عن قصة زفاف «بين» ومحاولاتها لإسعاد جميع أفراد العائلة: «لذا كنا نتساءل... إنها فكرة كايت فأنا ما كنت لأفكر في أمر كهذا... الأمر عائد إليك، طبعاً... يمكنك أن ترفض... ما من مشكلة...».

وتوقفت فجأة عن الكلام وقد ضاعت في أفكارها، ثم نظرت إلى جيب الذي كان يتأملها مبتسماً: «لقد سبق وقلت نعم، لذا لا مشكلة. ولكنني ما زلت أجهل ما تريدينني أن أفعله، عدا عن ألا أكون حبيباً حقيقياً».

أخذت نفساً عميقاً وقالت: «حسناً... كنت أتساءل إن كان يمكنك أن تجني بعض المال. هذا كل شيء».

ارتفع حاجب جيب وهو يسألها: «أتعرضين عليّ عملاً؟».

ـ بدا لنا أن الأمور ليست سهلة عليك في الوقت الحاضر، وبالتالي أنا مستعدة لأدفع لك مقابل مرافقتك لي إلى الزفاف و... ادهاشك.....

ـ أنني مغرم بك؟

أكمل الجملة عنها، وابتسامة لعوب ترتسم على ثغره.

ـ نعم.

ها قد نطقت بالفكرة أخيراً! وشعرت فجأة براحة غريبة. وربما كايت وبيللا على حق. يمكنه ببساطة أن يرفض ولي النهاية هي لم تفعل سوى عرض عمل عليه. أين الإحراج في ذلك؟

ـ لم يسبق لأحد أن عرض عليّ أمراً مماثلاً.

ـ إنه مجرد عمل طبعاً. لن يكون هناك أي... شيء آخر بيننا.

وشعرت بالاحمرار يغزو وجنتيها: «أدفع لك لتمثل، هذا كل

شيء».

لم يجب جيب فوراً: «لست بحاجة لأن تدفعي لي. نحن صديقان أليس كذلك؟ لو كان جوش مكاني الآن، لما فكرت حتى بعرض المال عليه مقابل مساعدتك. صحيح؟».

كان ذلك صحيحاً تماماً. وتمنت فيبي لو كان بإمكانها أن تطلب مساعدة جوش، فهو لطيف وجدير بالثقة، لكن للأسف والدها يعرفان صداقته مع بيللا ولن يصدقا أنها تدخلت بينهما.

لم يكن جيب مثل جوش. هو ليس هادئاً وليس آمناً أيضاً. لا يجعلها تشعر بالراحة كما يفعل جوش، وهي لا تستطيع أن تعتبره صديقاً مثل جوش، ما دامت أعصابها تتوتر ما أن يدخل الغرفة. الأصدقاء أشخاص يسترخي المرء ويتصرف بعفوية معهم وليسوا أشخاصاً يجعلونك تشعر بأن الأرض تتزعزع تحت قدميك.

قالت بصرامة: «أفضل أن تعتبر المسألة صفقة عمل. بهذه الطريقة يمكنني أن أطلب منك القيام بأمور ما كنت لأطلبها منك لو أنك تسديني خدمة».

ـ مثل ماذا؟

ـ مثل...

لم تشأ فيبي أن تناقش معه ما عساها تطلب منه لتقنع عائلتها بأنهما مغرمان: «لا أعرف تماماً، ولكن هناك حتماً شيء ما. على أي حال، سبق وطلبتُ الكثير عندما سألتك أن تتخلى عن يوم كامل لتمضيه في زفاف يعجّ بأشخاص لا تعرفهم».

ـ أعرفك أنت.

أجابها بذلك، غير عابئ بخطورة الموقف.

ـ عليك أن تتعرف إليّ أكثر بكثير قبل أن تتمكن من مواجهة أمي واستجواباتها.

التوى فم جيب بابتسامة: «أتحرّق شوقاً لهذا».

وساد صمت قصير، راحت فيبي تفكر خلاله في أن جيب يستطيع بكلمة واحدة أن يقلب الجوّ ويشحنه.

أجلت حنجرتها وحاولت التكلّم بلهجة عملية: «حسناً، كما قلت، أفضّل أن تبقى علاقتنا مهنية. سأدفع لك مقابل وقتك وشراتك بذلة رسمية أو أي شيء آخر قد تحتاجه».

تردد جيب لحظة. فآخر ما يريده هو أخذ المال من فيبي، لكنه لاحظ أنها داست على كرامتها بطلب هذا منه، وربما قبول المال منها سيحفظ كبرياءها. وقد يجد طريقة ليعيده لها في وقت لاحق.

كانت هذه الفرصة المثلى ليثبت لجميع المتشككين أمثال مالوري وجوش أنه صديق جيد. فيبي بحاجة إليه وهو لن يخذلها وإذا كانت مساعدته لها تعني قضاء يوم كامل بجانبها، فهذا وليد الصدفة ليس إلاّ. وإذا كان دوره يقضي بأن يلمسها أو يعانقها، فهذا ليس ذنبه أيضاً، ولن يحق لجوش أن يدعي بأنه خرق بنود الرهان.

قال أخيراً: «حسناً، إذا كان هذا ما تريدينه»، إذ رأى أنه من الأفضل أن يبدو أنه بحاجة إلى المال. على الأقل ستشعر بهذه الطريقة أنها تسديه خدمة أيضاً.

- كم تنوين أن تدفعي لي؟

- حسناً، لا أعرف تماماً... أظنني سأتصل بإحدى الوكالات وأستعلم كم سيكلّف استخدام أحدهم.

قالت ذلك وقد شعرت بشيء من الخيبة، فقد تبيّن أنه مهتم بالمال في نهاية المطاف. لا بد أنه بحاجة ماسّة إليه.

- اتفقنا.

قال جيب ذلك ومدّ يده مصافحاً. نظرت إليها فيبي مترددة، لكنها لم تجد سبباً لترفض مصافحته، ثم سيكون ذلك تصرفاً نظاً منها. فمدّت يدها لتشعر بدفء راحته وقوة قبضته.

أفلت جيب يدها، بينما هي تفكر أن الأمر لم يكن سيئاً إلى هذا

الحد.

- قولي لي مجدداً ماذا تريدين منّي فعله.

- سأخبر أمي أنني التقيت شاباً مميزاً.

قالت فيبي ذلك، وقد تفاجأت بالسهولة التي انجرفت فيها وراء الفكرة، مع أنها قررت منذ لحظات أنها لا تريد هذا المشروع من أساسه.

- حسب معرفتي بأمي، سوف تتصل مباشرة بيينلوبي، والدة «بين»، ويمكنك أن تراهن على أنك ستحصل على دعوة لحضور الزفاف خلال دقائق.

ترددت لحظة ثم قالت: «المشكلة هي أنه إذا اتصلت أمي وصادف لسبب ما أن أجبت أنت على الهاتف، عليك أن تكون حاضراً للرد على استجواباتها. هل من مانع؟».

أجابها جيب مبتسماً: «لهذا السبب تدفعين لي أجري».

كان على طريقته الواقعية في الإجابة أن تطمئن فيبي ولكن تعامُلَه مع الأمر على أنه وظيفة كان يزعجها بعض الشيء، رغم أنها هي من أصر على هذا.

- نعم... حسناً... ثم هناك الزفاف، وهنا يبدأ الادّعاء الفعلي.

- الادّعاء بأنني مغرم بك؟

- نعم وأن تدّعي أنّ لديك عملاً مهماً. في النهاية، إذا كان عليّ اختلاق حبيب، فليكن ناجحاً.

- آه! قد تكون هذه مشكلة. من الجيد بالنسبة لك أن تحظي بحبيب ثري وناجح، ولكن أتظنين أن بإمكاني تجسيد هذه الصورة؟

حدّقت فيبي به بنظرة متفحصة. كان جالساً على ذراع الكنبة، مرتدياً بنطلون جينز وسترة جلدية فوق قميص أبيض يغطي صدره العريض. وكانت عيناه الزرقاوان تتراقصان. بدا حيوياً، مثيراً، و... حسناً كاذب... جذاباً، لكنه لا يشبه رجال الأعمال.

التوت شفتاها وهي تتأمله قائلة: «ربما عليك أن تقصّ شعرك، ثم

إن البذلة ستحدث فرقاً أيضاً. من الأفضل أن تستأجر واحدة قبل الزفاف».

- سيكون زفافاً ضخماً إذاً.

أجابت فيبي من دون حماس: «نعم. سيجري الاحتفال في قصر كبير تم تحويله إلى فندق ضخم».

- ألن يتزوجا في الكنيسة؟

- لا سنجري مراسم الزفاف في القصر أيضاً. وسوف يبقى الأصدقاء المقربون والأقارب للعشاء. إنها دعوة حميمة على حد قول أمي وقد حجزوا كافة غرف القصر للمناسبة. لذا عليّ أن أمرّ في هذا كله وأتناول الفطور في اليوم التالي وكأن الزفاف وحده لا يكفي.

رفع جيب حاجبه مستفهماً: «ستمضي الليلة هناك؟».

- عليّ ذلك ولكن بمكنتنا اختلاق عذر من أجلك. سأقول لهم إنه عليك العودة لأن لديك اجتماع عمل في اليوم التالي.

- يوم الأحد؟

- جميع رجال الأعمال الناجحين مدمنون على العمل. لا أظن أن أحداً سيتفاجأ إن قلتَ إن لديك اجتماعاً في عطلة نهاية الأسبوع.

- حسناً، أنحني إذاً أمام معرفتك بمثل هذه الأمور. وأي نوع من رجال الأعمال يُفترض بي أن أكون في حال سأل أحد؟

- لم نصل بعد إلى هذه النقطة. ماذا تودّ أن تكون؟

- ربما... لست أدري...

وراح يحك ذقنه مفكراً: «ماذا عن الأعمال المصرفية؟».

بدت فيبي متشككة: «ألا تظن أنه عليك أن تدّعي شيئاً... أقلّ طموحاً من هذا؟».

- ماذا تقصدين؟ ألا تظنين أنني أبدو كمصرفي؟

- ليس تماماً.

- يمكنني أن أرتدي بذلة وأنافس أفضل المصرفيين.

لكن فيبي لم تقتنع رغم طمأنته لها، فقالت: «لا أظنها فكرة جيدة، فداين» يعمل لدى إحدى أكبر شركات الاستشارات المالية، ومعظم المدعوين من عالم المصارف. وأنت تعرف كيف يبدأ الرجال بتخطّي أحوال الآخرين. إذا قلت إنك تعمل في هذا المجال، فسيكون عليك أن تواجه أسئلة مثل: لمن تعمل وكم من الأرباح تجني وكم سيارة فيراري تركن في مرآبك، وماذا ستقول عندئذٍ؟».

- سأقول إنني أعمل في مصرف أميركي. بعدأي سأتدبر أمري.

لم تكن فيبي واثقة جداً، لكنها حدثت نفسها بأنه بمكنها في أسوأ الأحوال أن تقول لأمها إنه تعرض لحالة حادة من التسمم الغذائي وتذهب بمفردها كما خططت.

- متى موعد الزفاف؟

- خلال ثلاثة أسابيع.

- جيد. لديّ متسع من الوقت لأحضّر دوري.

بدا مرتاحاً جداً للأمر وكأن النساء يطلبن منه كل يوم أن يدّعي أنه مغرم بهنّ. أمّا فيبي فكانت تقضم اصبعها متوترة، فسألته والشكوك تتآكلها: «هل أنت واثق من أنك لا تمانع القيام بذلك؟».

- ولمَ أمانع؟ إنها فرصة لأكسب بعض المال وأشرب المرطبات على حساب شخص آخر. سيكون ذلك مسلياً.

لم تكن هذه فكرة فيبي عن التسلية: «بصراحة، أي شيء يبدو لي أكثر تسلية من هذا».

- إذاً لا تقومي بذلك.

فكرت فيبي في الذهاب بمفردها إلى الزفاف وكيف سيبدو الأمر لعائلتها ولبين، فقالت وقد عقدت العزم على ما تريد: «لا، أريد القيام بذلك. فسيفرح الجميع لو رأوا أنني وجدت شخصاً آخر».

- الجميع ما عداك أنت.

- لقد اعتدت على الحزن منذ رحيل «بين».

ـ ما زلت مغرماً به.

نظرت فيبي إلى الهرة المسترخية على الكنبة وهي تجيب: «بين» جزء من حياتي. لقد كبرنا معاً وخططت للزواج به منذ كنت في الرابعة من عمري. لم أرغب بأحد سواه في حياتي. أظنني اعتبرت أنه سيكون دائماً بجانبي والآن لا أعتاد على فكرة رحيله».

وارتجف صوتها رغماً عنها: «أعلم أن «بين» لم يشأ إيذائي ولكني نقلبت واقع أنه يحب ليزا وليس أنا. والآن أريده أن يكون سعيداً. وإذا كان هذا يعني أن أدعي بأنني مغرمة بشخص آخر في زقاقه، فهذا ما سأفعله».

معظم النساء اللواتي عرفهنّ جيب كنّ سيستسلمن للغضب لو تبددت أحلامهنّ، ولكن ليس فيبي. أراد أن يقول لها كم يجدها شجاعة، لكنه خشي أن يجرح مشاعرها لو عرفت أنه لاحظ حزنها. فوقف بدلاً من ذلك وقال: «إذا كان هذا ما تريدينه، بسعدني أن أساعدك ولن أخذلك».

فأجاها الصدق في صوته على حين غرة، فنظرت إليه ورأت عينيه الزرقاوين تتضحان دفئاً وتعاطفاً وكأنه رأى الدموع العالقة في حنجرتها.

ـ شكراً.

ـ ما من مشكلة.

تمتم شيئاً عن الاستحمام ثم غادر الغرفة، تاركاً إياها بمفردها مع الهرة.

تبعت خطواته بنظراتها، ثم سألت الهرة: «ما رأيك؟ من كان ليظن أن جيب حساس بهذا الشكل؟».

تثاءبت الهرة، غير مكترثة بكلام فيبي. فأخذت هذه تعيد في ذاكرتها الحديث الذي جرى بينها وبين جيب. لقد كان متفهماً بشكل مفاجيء. لم يسأل أي شيء عن انفصالها عن بين أو يهزأ من وضعها. كانت كايت على حق عندما قالت إنه أفضل من يمكن أن يساعدها.

نظرت فيبي إلى الهرة التي كانت تتمطى وتذكرت كيف ابتسم جيب وقال لها: «يسعدني أنني قلت نعم» عندما قالت له إنها بحاجة إلى حبيب.

أرسلت الذكرى موجة ارتعاش في ظهرها، فوقفت فجأة عن كرسيها. وقفزت الهرة أيضاً من مكانها، متأملة بشيء من الطعام وتوجهت إلى طبقها الموضوع على الأرض ثم راحت تحدق بفيبي بعينين صفراوين مهددتين.

فهمت فيبي ما عليها فعله لئلا تتعرض للمضّ، ووضعت في طبق الهرة بعض الطعام وهي تفكر.

كيف سيكون إمضاء نهار كامل مع جيب؟ سخيف طبعاً! حسناً، لقد كان ألطف مما توقعت وأقل إزعاجاً من العادة ولكن هذا ليس سبباً لتنسى أن الاتفاق الذي أبرماه مهني بحت.

وقالت فيبي للهرة: «لا تقلقي! لن أرتكب أي حماقة. من غير المحتمل أن أتورّط مع جيب».

وكأن الهرة اعترضت على أي شيء.

ثم إن جيب ليس من النوع الذي تقع في حبه الفتيات الحساسات أمثالها. قد يكون ظريفاً للفترة وممتعاً أيضاً، ولكنه في النهاية سيمضي في طريقه وهذا مؤلم. عندما فكرت فيبي في الألم الذي سبّبه لها رحيل «بين» السنة الماضية، عرفت أنها ليست مستعدة للمخاطرة مجدداً. وإذا كان لا بدّ لها من الوقوع في الحب مرة أخرى، فعليها أن تكون واثقة من أن علاقتهما ستدوم إلى الأبد، وجيب ببساطة ليس من النوع الذي يدوم إلى الأبد.

ـ أنا ممتنّة لمساعدته لي... ولكن هذا كل شيء.

***

٤ ـ كواليس

الحديث الذي دار بين جيب وفيبي، زاد من اضطرابها. وعندما مرت الأيام من دون علامة تدل على أنه يحضر دوره، استعادت فيبي طباعها النزقة معه.

من السهل عليه أن يتسكّع في المطبخ ويمزح مع بيللا وكايت ولكن يبدو أن لا فكرة لديه عن السهولة التي قد يُفضح فيها غشّه. هي بالطبع ممتنّة له ما يفعله، لكنها في النهاية تدفع له أجره وأقل ما يمكنه فعله هو بذل جهد ليبدو مقنعاً في الزفاف.

كانت كايت وبيللا تسخران من قلقها المفرط... ولكنهما ليستا معرضتين للاهانة والمذلّة أمام عائلتهما وأصدقائهما. لو اكتشف أحد في الزفاف أن جيب ليس المصرفي الذي يدّعيه، سوف تُكشف هي أيضاً، وتظهر أمام الجميع على أنها عانس تعيسة مثيرة للشفقة، حطّت من قدرها لدرجة أن تدفع لرجل لكي يدّعي أنه مغرم بها.

لم تكف عن التفكير في ما يمكن أن يجري، وعاشت كل لحظة من الزفاف في خيالها، بحيث يمكنها أن تتصور أدنى التفاصيل.

يمكنها أن تتصور أحد المصرفيين المدعوين يسأل جيب عن سعر الصرف والاستثمار وإلى ما هنالك، إلى أن يصرخ متعجباً: «لا أظنك مصرفياً على الإطلاق!».

وارتعدت فيبي لفكرة أن الجميع يستدير ليحدق في جيب. وخطرت أيضاً أن يكون أحد المدعوين على معرفة بجيب. قد يكون جيداً أن يقول

إنه أمضى السنوات الماضية في الولايات المتحدة ولكن الناس يسافرون والصدفات تحدث دائماً. قد يكون أحد أصدقائه هناك ويضحك لادعائه بأنه مصرفي.

كانت فيبي أحياناً تثير الموضوع وتتصور إحدى صديقات جيب السابقات تظهر في الزفاف برفقة أحد أصدقاء «بين»، فتراها فرصة مؤاتية لتصبّ انتقامها عليه. باستطاعة فيبي أن ترى كل تلك الجلبة والدموع والاتهامات، منذ الآن.

لكن المشهد الذي كانت تخشاه فيبي أكثر من كل شيء هو عندما يتّضح تدريجياً لوالديها أن الرجل الذي يمثل دور حبيب ايتهما لا يعرف في الواقع أي شيء عنها ولا يهمه ذلك أساساً. وإذا عرفوا أنها تخدعهما، فسوف يتألمان كثيراً. أمها ستخبر بينيلوبي التي ستخبر بين وهو بدوره سيخبر ليزا، وسينتشر الخبر كالنار في الهشيم. كانت فيبي تتصور الهمسات الجانبية والنظرات المشفقة والصمت الذي سيسود كلما اقتربت، وكان جسمها كله يقشعرّ عند التفكير بذلك.

بعد أن أمضت فيبي عدة ليال تفكر في المشاهد الرهيبة التي قد تحصل في الزفاف، قررت أن تلغي المسألة من أساسها فدخلت المنزل ذات مساء لتجد جيب يتحدث مع أمها على الهاتف من المطبخ.

كان يقول لها بلهجة ودودة: «بصراحة يا سيدة لاين، عرفت ذلك منذ اللحظة التي رأيت فيبي فيها. نظرت إليها فعرفت أنها المرأة التي أريد أن أمضي العمر كله معها».

فتحت فيبي فمها مشدوهة وقبل أن تستعيد وعيها كاملاً، انتزعت السمّاعة من يد جيب: «أمي آسفة! لقد وصلت لتوي».

ـ لابأس عزيزتي، كنت أتحدث مع جيب. بصراحة، إنه ظريف تماماً. تتحرق شوقاً لرؤيته. قالت بينيلوبي إنها سترسل له بطاقة دعوة حالاً. هل وصلت الدعوة؟

في الواقع وصلت بطاقة في اليوم الذي تلا اتصال فيبي بأمها، ولا بد

أنها أخبرت بينيلوبي بالأمر على الفور.

- نعم، لقد تلقينا الدعوة. ولكنني لا أظن أن جيب سيتمكن من إمضاء الليلة هناك.

قالت ذلك، مستبقة سؤال أمها التالي. ثم إن أعصابها متلفة من دون أن تضطر للتفكير بإمضاء الليلة مع جيب أيضاً.

بدت خيبة أمها واضحة: «يا للاسف! أنت تعرفين كيف تكون حفلات الأعراس. لن نحظى بفرصة للاسترخاء والتكلم معه حتى المساء».

الاسترخاء والتكلم هو بالضبط ما تخشاه فيبي. ففي مثل هذه الأوقات يزلّ اللسان وتتحطّم الدنيا على رؤوسهم. لا، من الأفضل إبعاد جيب قدر المستطاع.

- أعلم، لكن جيب لديه عمل في اليوم التالي.

قالت ذلك، محاولة إبداء بعض الأسف في صوتها.

- أنا واثقة من أنه يستطيع تأجيل عمله. أمّا إذا كانت المشكلة هي المشكلة، فأظن أن باستطاعة بينيلوبي أن تتدبر لكما غرفتين.

- هذه ليست المشكلة أمي.

وتمنت فيبي ألا يتمكن جيب من سماع أمها. لم يتحلّ حتى باللباقة الكافية ليخرج من المطبخ ويدعها تتكلم مع أمها بسلام، بل بقي متمدداً على الكنبة، شابكاً ساقيه باسترخاء.

- المشكلة أن لديه اجتماع في... في...

يا إلهي! أين يجتمع أصحاب المصارف؟

- في سويسرا.

تذكرت ذلك بعد لحظة غاب فيها كل شيء من دماغها.

- حسناً، إذا كان هذا ضرورياً.

لم تحاول أمها أن تخفي خيبتها، وتنهدت فيبي، وقد شعرت بشيء من الذنب يتملكها. أمّا الام فتابعت ابتزازها العاطفي: «حاولي أن

تقنعيه بتغيير اجتماعه. جميعنا متشوق للتعرف إليه. أنا ووالدك ولارا أيضاً».

أغمضت فيبي عينيها لحظة. لارا أختها الصغرى. إنها جميلة ولطيفة وأحياناً شديدة الملاحظة. وعلى فيبي أن تبعدها عن جيب، فسوف تكتشف حقيقته في لحظات.

- سوف أسأله. أنا واثقة أنه سيحاول تأجيل موعده.

ثم أقفلت فيبي السمّاعة ورمتها على الكرسي، متنهدة: «هذا يتحول إلى كابوس. يا ليتني لم أخبر أمي عنك».

- لماذا؟ الأمر يسير على ما يرام. أردتِ أن تكون أمك سعيدة، وهي كذلك.

لم تستطع فيبي الإجابة على ذلك، فراحت تتفحص البريد الذي أحضرته من الردهة. فاتورة ورسالة من النادي يسألونها فيها عن سبب غيابها منذ فترة.

- لماذا أخبرت أمي عن الحب من النظرة الأولى؟

- ظننت أنه يُفترض بي أن أكون العاشق الولهان.

- ليس إلى هذا الحد! لن يصدقك أحد إذا استمريت على هذا النحو.

- لمَ لا؟

- لأن هذا لا يحصل في الحياة العادية.

- ما الذي لا يحصل؟

- ذلك الحب من النظرة الأولى. عليك أن تتعرف إلى المرء قبل أن تقع في حبه.

نظر إليها جيب مبتسماً: «قد يكون ذلك صحيحاً بالنسبة إليك، ولكن ليس بالنسبة إلى الآخرين».

- لا تقل لي إنك سبق ووقعت في الحب من النظرة الأولى.

- ولمَ لا؟

- لأنك لا تبدو من النوع الذي يقع في الحب هكذا.

كان هذا أفضل ردّ وجدته.

ـ هذا ما ظننته حتى حدث لي هذا.

ـ آه حقاً؟

ونظرت إليك بتشكك، متمنية لو تعرف إن كان يمزح أو لا. ولم تكن هذه المرة الأولى، فهو يبدو جاداً ولكن شقبه دائماً على وشك الابتسام. أنا عيناه... فخاطرت فيبي بإلقاء نظرة إليهما لتجد نفسها مسحورة بذلك البريق الأزرق الذي يستحيل قراءته والذي جعل الدم يغزو وجنتيها.

أشاحت بنظرها، وقالت محاولة أن تبدو ساخرة: «هل أنت واثق من أنه كان حباً أو أنه رغبة ليس إلاّ؟».

ـ مزيج من الاثنين معاً.

عندئذٍ ابتسم، فشعرت فيبي أنه على الأرجح يفكر في الشقراوات الممشوقات اللاتي التقى إحداهن ربما على شاطىء كاليفورنيا.

أدارت ظهرها لتلك الابتسامة وتوجهت نحو الثلاجة، حيث كانت الهرة تنتظر مجدداً من يقترب من طبق طعامها.

قالت ببرودة وهي تفتح البراد وتخرج منه زجاجة من العصير البارد:

ـ إنني أحاول إقناع عائلتي، لذا علينا الالتزام بنص واقعي وإلاّ فلن يصدّقوا كلمة مما تقول. ثم إنني لست من النوع الذي قد يقع في حبه الرجال من النظرة الأولى.

ـ لم يكن لدى أمك أي مشكلة في تصديقي. قالت إنني أشبه بحلم يتحقق.

ـ أنت لا تأخذ الأمر على محمل الجد.

ـ وأنت تأخذينه على محمل الجد أكثر مما ينبغي. اهدأي يا فيبي، فكل شيء تحت السيطرة.

ـ سهل عليك قول ذلك. هل حضّرت لك بدلة؟

سألته ذلك، وكانت واثقة من أنه لم يفعل ذلك.

ـ أجل.

آه.

ـ حسناً، هذا شيء مهم.

فتحت الزجاجة وسكبت العصير في كوب، ثم راحت تتأمل لونه قبل أن تعود إلى غيظها واهتياجها: «ماذا عن ذلك العمل الذي كان يُفترض أنك تقوم به؟ قلتُ لأمي الآن إنك مصرفي، لذا يُستحسن أن تنجز مهمتك».

ـ اهدأي. كنت أقوم ببعض الأبحاث. أنظري.

والتقط كتيّباً صغيراً عن الأرض بجانب الأريكة وأعطاها إيّاه. أخذته فيبي قائلة: «هذا عن المصرف الاجتماعي».

ـ أعلم.

ـ من أين جئت به؟

ـ كان على الطاولة مع غيره من الأغراض التي أحضرتها أنت. كانت فيبي مشغولة جداً بدراسة الكتيّب لتلاحظ التردد في صوته: «فكرت في أنه بإمكاني الاستفادة من البحث الذي تقومين به من أجل برنامجك، فألقيت نظرة على هذا. في حال سألني أحدهم، سأقول إنني أعمل في قسم التنمية لديهم».

ـ هذه ليست فكرة سيئة. إنه مصرف ولكنه ليس مصرفاً حقيقياً.

ـ ماذا تعنين بذلك؟

للمرة الأولى، استطاع جيب من كسله وتخلّى عن مرحه وقال معارضاً: «إنه يقرض المال ويدعم زبائنه وهو جزء لا يتجزأ من البنى المالية في البلاد حيث...» نظرت فيبي إليه متفاجئة: «كنت فعلاً تقرأ الكتيّب. أليس كذلك؟».

ساد صمت قصير، قال جيب بعده: «قلت لك إنني كنت أقوم ببعض الأبحاث».

ـ يسرّني أنك بدأت تتمرن على دورك، على أي حال، كل ما قصدتُه

هو أنه إذا كنت تعمل في مصرف كهذا والتقيت أشخاصاً من مصرف آخر، فلن يتوقعوا منك أن تكون متباهياً بما تمنيه. وقد يسيئون الفهم إذا بدوتَ...

- بدوتُ ماذا؟

- لست أدري... ربما إذا بدوتَ مختلفاً قليلاً.

لماذا على جيب أن يجاسيها على كل كلمة تقولها. ارتشفت القليل من عصيرها، محاولة التركيز على النفرات في فكرة جيب. ولكن كلما فكرت في الأمر، ازداد اقتناعها، فقالت أخيراً: «أظنها في النهاية ستنجح. يمكننا أن نقول إننا التقينا هكذا».

- بالضبط.

تجاهلت فيي اعتداده بنفسه وقالت: «الجميع يعرف أنني أعمل على البرنامج. وكنت من اليأس بحيث سألت معظم أصدقاء بين إن كان لديهم معارف في الولايات المتحدة قد يساعدونني في تحقيقي عن المصرف الاجتماعي، لكن أحداً لم يسمع به، وهذا خبر جيد بالنسبة إليك. يمكننا أن ندعي بأن أحدهم عرّفني إليك وأنك أعجبت كثيراً بحديثي على الهاتف، فاتفقنا أن نلتقي... وهكذا أغرمنا ببعضنا!».

قال جيب مستفزاً: «آه! إنه إذاً حب من النظرة الأولى؟».

أجابت فيي مستسلمة: «حسناً نعم، حب من النظرة الأولى إذا كان هذا ما تريده! وإذا كنت قد أخبرت أمي بذلك، فلا أستطيع شيئاً حيال الأمر على أي حال».

قد تكون فيي اطمأنت كون جيب يستعدّ لدوره ولكن مع اقتراب موعد زفاف بين، كانت تزداد خوفاً أكثر فأكثر.

عندما حلّ السبت التالي، كانت متوترة الأعصاب بحيث بالكاد استطاعت أن تتكلم. فقالت لها بيللا ذلك الصباح: «عليك أن تهدأي، أنت متوترة جداً».

وإذ رأت فيي تضع ثوبها على لوح الكوي، قالت لها: «أعطنيه.

سوف تحرقينه إذا حاولت أن تكويه وأنت في هذه الحالة. اجلسي واهدأي قليلاً».

- لا يمكنني ذلك. لا أنفكّ أفكر بما قد يحدث في الزفاف.

- مثل ماذا؟

- كأن ينسى جيب مَن يُفترض به أن يكون مثلاً.

قالت ذلك وهي تلقي نظرة سريعة إليه وهو جالس يقرأ الصحيفة، غير عابىء بكل ما يجري حوله.

- أنا أعترض.

قال ذلك من دون أن يرفع نظره حتى عن الصحيفة: «أنا جون جيسون. أصدقائي يدعونني جيب. أعمل كمدير لقسم التنمية في المصرف الاجتماعي وإنني حالياً أضع برامج تمويل وأنشىء علاقات بين أوروبا وأفريقيا، وإنني الآن بصدد الذهاب إلى بريطانيا والولايات المتحدة للقيام باستثمارات واستراتيجيات إنمائية».

فقالت بيللا ذاهلة: «أرأيت؟ سيتدبر أمره».

- لست أدري.

قالت فيي ذلك وهي تبحث باضطراب عن المرآة في علبة التبرّج:

- زلّة واحدة وسيعرف الجميع أن حبيبي الناجح ليس سوى مستأجر عاطل عن العمل!.

ثم فتحت المرآة وراحت تتأمل وجهها بكآبة: «لم يغمض لي جفن الليلة الماضية وأنا أفكر. والآن عيناي جاحظتان وبشرتي متنفخة!».

طمأنتها بيللا قائلة: «ما من عيب يعجز التبرج عن إخفائه».

لكن فيي لم تطمئن إطلاقاً: «يا إلهي! أبدو فظيعة».

أخفض جيب الصحيفة لينظر إليها متفحصاً: «تبدين جميلة جداً».

كان ذلك غير متوقع بحيث تفاجأت فيي وبيللا معاً، وقالت هذه:

- وهي لم تتبرج بعد.

- هي ليست بحاجة إلى تبرّج. هي دائماً جميلة في نظري.

أدركت فيبي أنه يثبت لها أنه حفظ دوره جيداً. ولكن ماذا لو ظن أنها أخذت كلامه على محمل الجدّ؟

رفعت ذقنها قائلة: «من المستحسن ألاّ تقول شيئاً كهذا اليوم وإلاّ علموا أنك لست جاداً».

ـ لماذا؟

ألقت فيبي نظرة أخرى إلى المرآة: «تقبّلت منذ زمن بعيد فكرة أنني لست جميلة ولن أكون كذلك أبداً».

نظر جيب إليها عبر المائدة. صحيح أنها ليست جميلة، فملامحها قوية جداً لتكون جميلة فقط. إنها مشرقة ومثيرة بعينيها الوحشيتين ولمعة المشاغبة الذي يدلّ على طبيعة شغوفة.

ـ أنا لا أوافقك.

رأت فيبي يد بيللا المتجمّدة في الهواء ونظرة الاهتمام الحادة التي رمقته بها.

ـ حسناً، يمكنك أن تكف عن التمثيل الآن. وفّر ذلك لوقت لاحق ولا تبالغ. الجميع يعرفني ويعرف أنني لا أحب الغزل المفرط.

ـ قد تخيبه لو كنت مغرمة.

ـ لم يفعل بين ذلك مطلقاً.

أغلق الصحيفة ونهض من مكانه عمداً: «حسناً، أنا لست بين».

وعندما اشتبكت عينا فيبي بعينيه، لاحظت أن الضحكة المعتادة قد اختفت: «أنت مغرمة بي الآن. لا تنسي».

بللت فيبي شفتيها، متسائلة لِمَ أنحبس الهواء بهذا الشكل فجأة، وقالت: «لليوم فقط».

ساد صمت ثقيل للحظة ثم ابتسم جيب ولكن ليس كالمعتاد، فكانت ابتسامته أقرب إلى التكشيرة: «طبعاً، لليوم فقط».

ثم استدار نحو الباب: «بالإذن، سأذهب وأستعدّ».

لم تدرك فيبي أنها كانت تحبس أنفاسها إلى أن رحل، وتمكنت أخيراً

من الاسترخاء. وعندما نظرت إلى بيللا، كانت تلك تحدق بها متأملة:

ـ مكانك، لما ضغطتْ على جيب.

ثم علّقت الفستان وأعطتها إيّاه: «والآن، إذهبي واستحمّي ومن ثم أزيّن لك وجهك».

وبعد أن تزيّنت فيبي، قالت لها بيللا ذاهلة: «تبدين رائعة!».

وجعلتها تستدير أمام المرآة لتتأمل نفسها. بدت بحذائها العالي الكعبين وثوبها الأحمر الناري وعقدها المثير أكثر جمالاً وإثارة من أي وقت مضى.

ـ كل ما تحتاجينه الآن هو قبعة و... ابتسامة.

ولكن فيبي لم تستطع أن تبتسم: «آه يا إلهي! بيللا أتظنين أنني أقوم بالأمر الصائب؟».

فأجابتها بيللا التي لم يكن لديها وقت للشكوك: «نعم. سوف تتمكنين من الذهاب إلى ذلك الزفاف مرفوعة الرأس. جيب سيكون إلى جانبك ولن يخذلك».

ـ يُستحسن به ألاّ يفعل ذلك.

سوّت بيللا سترة فيبي قائلة: «كان مقنعاً جداً عندما قال إنه يحبك جيلة. ونساءلت إن كان فعلاً يدّعي ذلك».

ـ بالطبع كان يدّعي. هذا ما أدفع له ليفعله.

قالت فيبي ذلك من دون أن تنظر إلى بيللا، فآخر ما تريده هو أن تعرف صديقتها أنها للحظة أو اثنتين، تساءلت هي أيضاً عن الأمر نفسه.

ـ أظنه معجباً بك يا فيبي. نعتقد أنه ما تحتاجينه بالضبط.

ـ لا. ليس إطلاقاً ما أنا بحاجة إليه.

وهزت رأسها بشدّة لتؤكد وجهة نظرها، مع أنه لم يكن واضحاً ما إذا كانت تحاول إقناع نفسها أو إقناع بيللا: «هو ليس مثل بين».

ـ بالضبط. أعرف أنك أحببت بين ولكن حان الوقت لتنسيه. أنت

بحاجة إلى شخص مرح وجيب هو الشخص المناسب.

- لا أظن أنني مستعدة للمرح. أخشى أن أتأذى مجدداً. لا أريد التورط مع أحد وخصوصاً مع جيب. أظنك مخطئة بشأنه. الادعاء بالحب ليس سوى دور يقوم به. كان سعيداً عندما عرضت عليه المال، ولو كان مهتماً حقاً بي لما اهتم بالمال. أليس كذلك؟

وعندما نزلنا إلى الطابق السفلي، وجدنا كايت في المطبخ. وبينما أبدت هذه إعجابها بمظهر بيللا واستمعت إلى تقرير بيللا عن مهارات جيب غير المتوقعة في التمثيل، كانت أعصاب فيبي قد توترت مجدداً وتشنجت معدتها.

ألقت نظرة سريعة إلى ساعة يدها. الاحتفال يبدأ عند الثانية والنصف وتستغرق مسافة الطريق ساعتين على الأقل، فالخروج من لندن يوم السبت أشبه بالكابوس أحياناً.

- حسناً. أحضرت حقيبتي والهدية والقبعة... ماذا أحتاج بعد؟

- مفاتيح السيارة.

- يا إلهي! نعم مفاتيح السيارة. أين هي؟

بدأت فيبي تبحث في كومة الأوراق مضطربة: «كانت معي في الأمس. أنا واثقة من أنها هنا في مكان ما. أين جيب؟ علينا أن نذهب».

- أنا هنا.

نظرت الفتيات الثلاث معاً إلى أعلى السلّم وسادت لحظة من الصمت المطبق. حدّقت كايت وبيللا ذاهلتين، بينما تسمّرت فيبي مكانها مخطوفة الأنفاس وكأنها تلقت صفعة على وجهها.

لم تستطع أن تصدّق التغيير في مظهر جيب. كان قد استحمّ وحلق ذقنه وارتدى بذلة رمادية أنيقة وقميصاً أبيض كلاسيكياً وربطة عنق رمادية فاتحة اللون. بدا أكبر سناً وأكثر احتراماً ولكن ابتسامته لا تزال هي هي.

صفّرت بيللا قائلة: «من كان ليظن أنك يمكن أن تكون على هذا القدر من الوسامة!».

استدارت كايت حوله: «عشرة على عشرة! ما رأيك يا فيبي؟».

لمَ لا تستطيع أن تكون عفوية معه مثل كايت وبيللا؟ تملكها خجلٌ سخيف، فلم تستطع أن تنظر في عينيه واكتفت بالقول: «يبدو جيداً».

- هل نذهب؟

- متى وجدتُ مفاتيح سيارتي.

- إنها هنا.

رأى جيب المفاتيح على الفور وأعطاها إيّاها، فانتزعتها منه واتجهت نحو السيارة، لكنها نسيت أن تحضر قبعتها وحقيبتها. وعندما عادت ووضعتها في صندوق سيارة البيجو القديمة، سألها جيب: «هل يمكنك أن تقودي؟».

- بالطبع. ولمَ لا أستطيع ذلك؟

- لبدين... متوترة بعض الشيء.

- بالطبع أنا متوترة! أنا ذاهبة لأرى الرجل الذي أحب يتزوج امرأة أخرى، بينما أنتي أكذب على عائلتي وأصدقائي وأقول لهم إنني على علاقة بمستأجر عاطل عن العمل يدّعي بأنه رجل أعمال مهم. وإذا علم أحد أو حتى شك بالأمر، فسيفسد كل شيء!

ناهيك عن أن صديقتيها تفكران في أنه عليها الخروج مع رجل يدّعي اللطف معها لمجرد أنها تدفع له.

وشعرت فيبي فجأة بأنها على وشك البكاء.

- أعرف أن هذا اليوم سيكون صعباً عليك. إذا كنت تريدين القيادة فلا بأس ولكن إذا أردت أن أقوم عنك بشيء واحد على الأقل فيمكنني ذلك.

ترددت فيبي لحظة إذ لم تشأ الاستسلام ولكنها تعرف أن جيب محق، فهي ليست في وضع يسمح لها بالقيادة والتعرض لحادث هو آخر ما

تريده الآن.

هي عادة تحب أن يقود عنها أحدهم ولكنها لا تثق تماماً بجيب. بدا لها من النوع الذي يسرع كثيراً ويقود سيارات رياضية، واضعاً يداً على المقود واليد الأخرى على فتاة تشتهيه جميلة.

استدار جيب حول السيارة ووقف بجانب فيبي: «كنت تنوين القيادة بهذا الحذاء؟».

بالطبع لم يكن باستطاعتها ذلك. إمّا أن تغيّر حذاءها وإمّا أن تدع جيب يقود عنها. قرأ القرار على وجهها فمدّ يده وأخذ المفاتيح منها.

ـ أنت لا تثقين بي، أليس كذلك؟

ـ لو لم أكن أثق بك، لما قررت أن أعرّفك إلى عائلتي.

أجابته فيبي بذلك وهي متشبثة بالباب.

ـ لو كنت تثقين بي، لما كنت جالسة هكذا، تكبحين الفرامل وكأنك تقودين فعلاً. إذا كنت ستستمرين على هذا النحو، أفضّل أن تقودي بنفسك.

بذلت فيبي جهداً ملحوظاً لتسترخي وقالت متأسفة: «عفواً».

خلافاً لكلّ توقعاتها، كانت قيادة جيب هادئة، متمكنة. وكان من الغريب رؤيته جالساً خلف المقود، وفي كل مرة كانت عيناها تتجهان نحوه، كانت تُحفل وتشيح بنظرها بسرعة.

بقي الحديث مقتصراً لفترة على التعليمات التي كانت فيبي تقولها لجيب لكي يتمكن من القيادة في الشوارع الداخلية الضيقة، ولكن ما إن استلما الطريق السريع، حتى تغيّر الوضع. فقال لها جيب: «ألا يجب أن تعلميني بمزيد من الأمور قبل أن نصل إلى هناك؟ أعرف الوضع مع بين. ولا خوف من مسألة العمل ولكن هل من المحتمل أن ألتقي أحداً يُفترض بي معرفته؟».

نظرت فيبي إلى خارج النافذة قائلة: «سيكون هناك أصدقاء كثر تعرّفوا إليّ عندما كنت مع «بين» ولكن يمكننا القول إن علاقتنا حديثة لذا

لم أخبرك عنهم».

ـ آه أجل. وبما أنك مغرمة جداً بي، ليس لدينا الوقت لنفكّر في أمور كهذه.

ـ بالضبط.

ـ إذاً ما عليّ التركيز عليه هو عائلتك.

ـ نعم. أمي وأبي وأختي الصغرى أيضاً. لارا صغيرة العائلة. تبدو مسكينة وهادئة ولكن لا تنخدع بها، فهي لاذعة جداً.

ـ ماذا تفعل؟

ـ إنها لامعة وذكية ولكنها تضجر بسرعة. لذا فإنها دائماً تبدأ بدروس ولا تنهيها، أو تستقيل من وظائف جيدة وهي دائماً تخرج مع شبّان غير مناسبين.

ـ ليست كأختها الكبرى إذاً؟

ـ لا أنا المملّة في العائلة.

وتنهدت فيبي وهي تحدق عبر الزجاج وتفكر في أختها.

ـ كانت حياتي دائماً تقليدية. أقرمت بابن الجيران، حصلت على إجازة، اشتريت منزلاً... أخطر ما قمت به في حياتي كان التخلي عن وظيفتي للعمل في شركة الانتاج. وهذا ليس بالضبط ما يُسمّى بالمخاطرة.

ـ أهذا ما تحبين؟ المخاطرة؟

ـ أحياناً ولكنني أظن أنني حساسة جداً.

هذا ما قاله بين: أنت حساسة جداً فيبي. أعرف أنك ستتفهمين الأمر. المسألة ليست أنني لا أهتم لأمرك ولكننا نعرف بعضنا منذ زمن حيث لم تعد الأمور مثيرة. لم تعد نستطيع أن نفاجئ بعضنا بأي شيء.

ـ أحياناً أتمنى لو أني مثل لارا.

ربما لو كانت مثلها، لما وقع «بين» في حب ليزا.

ثم تابعت قائلة: «عندما تقرر لارا شيئاً، تقوم به على الفور. تحب

أن تجرّب كل شيء. ولا تفكر في العواقب».

ألقى جيب نظرة جانبية سريعة ناحية فيبي قائلاً: «أنا متحمّس للقائها».

ـ سوف تروق لك.

وأحسّت فيبي بشيء من الكآبة. أختها طائشة مثل جيب. فرغم تبدّله الكلّي اليوم، لا يزال فيه شيء من الخطر والاثارة.

سوف يحبّ جيب في لارا شبهاً كبيراً معه. فهي منفتحة ومسلية، على عكس أختها الكبرى.

* * *

٥ ـ ساعة الصفر

تنهدت فيبي من دون قصد منها.

ـ ما الخطب؟

كان جيب يراقبها عن كثب أكثر مما كانت تتصور.

ـ لا شيء.

كادت تشعر بنظرته الزرقاء تتفحص جانب وجهها، ولكن بعد لحظة، تخلّى عن الأمر وسألها: «ماذا عنّا نحن؟. علينا أن نتفق على الطريقة التي التقينا فيها».

ـ ظننت أننا سبق واتفقنا على ذلك. التقينا عندما اتصلت بك بشأن البرنامج.

ـ ألا تظنين أن ذلك يبدو جافاً بعض الشيء؟ أعني، ألن يرغبوا في معرفة مزيد من التفاصيل؟

ـ مثل ماذا؟

ـ لست أدري... ربما إذا كان حبنا من النظرة الأولى من الطرفين أو أنني تعذبت لأفوز بحبك؟

ـ الخيار الثاني على ما أظنه. لا أريد أن أبدو سهلة المنال.

رمقها جيب بنظرة ساخرة: «لا أتصور أنك كذلك. ولكن مع ذلك، عليك أن تقدّري بأنك لا تستطيعين مقاومتي، وإلاّ لما قبلتِ بأن تنتقل للعيش في منزلك».

كانت تكره كونه دائماً على حق. سيبدو من الغريب فعلاً أن تدّعي

أنها صعبة المنال، في حين أنه يعيش في المنزل نفسه.

- إذاً، من الأفضل أن تقول إن حبك اكتسحني.

استراحت نظرات جيب لحظات على جانب وجهها قبل أن تعودا مجدداً للتركيز على الطريق: «ما الذي قد يفعل هذا بك فيي؟».

- لست أدري. لم يحصل لي هذا من قبل. عرفت دوماً أنني أحب بين، لذا فإنني لا أتصور نفسي أهتم بشخص لا أعرفه، هكذا من النظرة الأولى. نظرياً، لا بأس بأن يكتسحك حب أحدهم. ولكن عملياً، كيف يمكنك أن تثق بشخص وتقتنع بأن تغير حياتك من أجله، قبل أن ينسى لك حتى التفكير في ما تفعله فعلاً؟

- ظننت أنك تحبين المخاطرة.

- ليس إلى هذا الحد. الوقوع في الحب بهذا الشكل طريق مضمون نحو الألم.

- سوف تغيرين رأيك عندما تقعين في الحب. إذا أحببت أحدهم فعلاً، ستكونين مستعدة للمخاطرة بأي شيء.

- كنت مغرمة وخاطرت وتأذيت أيضاً ولا أنوي تكرار هذه التجربة مجدداً.

ساد الصمت لحظات، ركزّ جيب خلالها على القيادة، في حين راحت فيي تنظر من النافذة وتفكر في «بين» والنظرة التي بدت في عينيه عندما أخبرها أنه مغرم بليزا. كان آخر شخص تتوقع أن يؤذيها. كانا مرتاحين، آمنين معاً. وظنت أن هذا ما يريده هو أيضاً ولكن تبين أنها مخطئة. ربما لم تعرفه بقدر ما ظنت.

ولسبب ما، وجدت نفسها تتذكر ما قاله ليبللا عن جيب. سيكون من الصعب إيجاد رجل أكثر اختلافاً عن «بين»، وآخر ما يمكنها وصفه به هو الأمان، إذ يمكنها أن تتصوره يكتسح قلب أي فتاة. هو من النوع الذي يعرف ما يريد ويحصل عليه وإذا كان ما يريد هو أنت، فلا خيار لك. سوف يقلب حياتك حتماً رأساً على عقب ويثير أحاسيسك كلها

ومن ثم يتخلى عنك عندما يسأم منك، لينتقل إلى أخرى.

لا، شكراً. وفكرت فيي في أنها بغنى عن كل تلك الاثارة. المخاطرة بهذا الشكل لا تستحق الألم والمذلة اللذين ينتجان بعدها. لقد عانت ما يكفي خلال السنة الماضية.

- بماذا أناديك؟

خرق جيب الصمت بسؤاله هذا، فاستدارت نحوه متفاجئة.

- ما خطب اسمي؟

- كنت أفكر باسم ودي أكثر. ماذا تفضلين: حبيبتي، عزيزتي أو ماذا؟

كشرت فيي: «لا أحب هذه التسميات».

- لم لا؟

- لأن الحبيبات رفيقات ولسن لاذعات مثلي.

- ولكنك لست كذلك معي يا حبي.

هزت فيي رأسها: «لا تنادني هكذا، إلا إذا أردت أن أكسّر لك أسنانك».

ضحك جيب وقال مدّعياً الاعتراض: «ولكنتا مغرمان».

- ليس إلى هذا الحد.

كانت العصبية تتآكلها أكثر مما أرادت أن تعرف، بسبب الطريقة التي نظر بها جيب إليها وهو يضحك. كانت أسنانه بيضاء ناصعة وقوية، وصدى ضحكته يهدر في السيارة بشكل جعل بشرتها تقشعرّ.

لو أنه ليس جذاباً إلى هذا الحد! كان حيوياً ومسيطراً، ما جعلها تبدو شاحبة ضعيفة مقارنة به.

كان جيب لا يزال يتكلم: «ظننتُ أنه يُفترض بي أن أكون الرجل المثالي لك».

- بالضبط. والجميع يعرف أنني لا أحب أن يذللني أحد، ولو عن بعد أميال.

ـ لذا إذا سمعوني أدلّلك، سيعرفون أن حبنا حقيقي.

ـ إسمع. من يدفع لك هنا؟

قالت فيي ذلك غاضبة، مع أنها شعرت أنه استدرجها إلى جدال هي بالغنى عنه، ففي النهاية قد لا توافق فقط على أن يناديها حبيبتي، إنما قد تتوسله أيضاً. أو ليس هذا ما حصل في البداية؟ كانت مصممة على ألاّ تطلب منه أن يمثل دور حبيبها الوهمي، وها هي الآن معه، يتجهان إلى الزفاف.

ـ إذا سمعتك تتفوه بمثل هذه الكلمات مرة واحدة، سأحسم لك نصف أجرك. لا تقل إنني لم أحذرك.

ـ حسناً، سيدي. ربما يجدر بي أن أناديك سيدتي فتُحلّ المشكلة.

صرت فيي على أسنانها: «اسمع، لا آبه للاسم الذي تناديني به طالما أنه ليس مبتذلاً. يُفترض بك أن تكون مثالياً!».

ـ إذا كنتُ مثالياً لهذه الدرجة، كيف ستشرحين لهم أن علاقتنا المذهلة انتهت بهذه السرعة؟

ـ لم أفكر بعد ما سأقوله. ربما اكتشفت أنك تخفي سراً دنيئاً والجميع يعلم أنني لا أستطيع أن أحب رجلاً كذب عليّ.

ـ حقاً؟ لماذا؟

ـ أكره الكذب.

ـ لكنك الآن تكذبين. لقد كذبت على أمك بشأن علاقتنا وسوف تستمرّين بكذبتك اليوم أيضاً.

ـ هذا مختلف.

ـ كيف؟

ـ كذبتي لن تؤذي أحداً.

ـ ليست الأمور دائماً كما تريدينها أن تكون. أحياناً الحقيقة تؤذي بقدر ما تؤذي الكذبة.

أويظنها لا تعرف ذلك؟ لقد أصرّ بين على إخبارها الحقيقة عن ليزا

ما إن عرف أنه مغرم بها. كان بين دائماً صادقاً ولم يكذب عليها أبداً، وإذا كانت الحقيقة مؤلمة جداً، فهي أفضل من اكتشاف الأمر من شخص آخر في وقت لاحق.

رمقها جيب بنظرة سريعة، فرآها حزينة وشتم نفسه لأنه أعادها إلى ذكرياتها الحزينة. كان من المفترض به أن يساعدها كأي صديق، بدلاً من زيادة تعاستها.

قال بخفة: «إذاً بعد أسبوعين على الأكثر ستقولين لأمك إنني كذبت عليك، وستتركينني من دون أن تسمعي كلمة مني. صحيح؟».

ـ حتى ذلك الحين، سأكون قد وجدت أموراً كثيرة أخرى تزعجني فيك. أكاذيبك لن تكون سوى القشة التي تقصم ظهر البعير.

ـ ألن يكون من الأسهل أن تنسى قصة الأكاذيب تلك ونقول فقط إنني نذل وقد تخليت عنك.

ـ لا، لأنه سبق لغيرك أن تخلّى عني. هذه المرة حان دوري. سأقول لأمي إنك منهار، وترسل لي الورود كل يوم وتغمرني بالهدايا والملمس وتتصل بي كل خمس دقائق تتوسلني لأمنحك فرصة أخرى.

كان ذلك أفضل. تظاهر جيب بأنه حزين جداً: «إذا كنت سأذلّ نفسي لهذه الدرجة، أظن أن عليك أن تمنحيني فرصة».

ـ مستحيل.

ـ يا لقساوة قلبك!

ـ لقد خيّبت ظني.

ـ نعم ولكن لم يكن بوسعي فعل شيء. أنت تثيرين جنوني. لم أستطع أن أفكر في أحد سواك منذ التقيتك.

شدت فيي على شفتيها، محاولة ألاّ تضحك: «كان عليك أن تفكر في ذلك قبل أن تترك زوجتك وأولادك الستة في الولايات المتحدة».

ـ ستة أولاد؟ مهلاً عليّ، ألا يكفي اثنان؟

ـ لا. لديك ستة أولاد يعتمدون عليك.

التوى فم جيب وهو يقول: «غريب أنني ما زلت في حالة تسمح لي بالخروج مع شابة شغولة مثلك! لا بد أنني شاب قوي».

ـ لا لست كذلك. بل أنت كاذب مخادع.

قالت فيي ذلك بصرامة، ولكنها أدركت أن ذلك بدأ يروقها.

هز رأسه بعد لحظات: «لا أظن ذلك سينجح».

ـ لم لا؟

ـ لا أظنك قد تغرمين بشخص كاذب كهذا. فأنت...

وتوقف ليبحث عن الكلمة المناسبة.

ـ أنا ماذا؟

أرادت فيي أن تعرف، رغم أنه ما كان يجدر بها أن تهتم برأيه أساساً.

ـ أنت متيقظة جداً، صادقة جداً وذكية جداً. لذا مستحيل أن يحصل هذا معك.

ماذا عساها تعتبر كلامه؟ ظاهرياً يبدو ذلك إطراءً ولكن يستحيل معرفة ما إذا كان جيب جاداً أو لا.

في النهاية، اختارت فيي أن تتجاهل تعليقه كلياً فقالت: «ربما لديك حبيبة سابقة نسيت أن تذكرها، أنت إلى تنوح وتبكي لأنك فطرت قلبها، فأسفت أنا على حالها وانفصلت عنك».

رفع جيب حاجبه متفاجئاً: «هل تفعلين ذلك حقاً؟».

ـ قد أفعل هذا إذا كنت تزعجني وكنتُ أنا أبحث عن أي عذر لأنهي علاقتنا.

ـ ولكن ما عساني أفعل لكي تنزعجي بحيث تطردين من حياتك رجلاً مثلي... ثرياً وناجحاً وشغوفاً بسبب ادّعاء حبيبة سابقة؟

حاولت فيي التفكير في كل ما يزعجها فيه ولكنها لم تستطع التحديد بالضبط ما يثير اضطرابها.

ـ أنت متملك جداً.

ـ آه، هيا، جدي شيئاً أفضل.

ـ أنت تسخر.

بدا من تعبير جيب كم أنه فكر في هذا الاقتراح، فقالت:

ـ أنت لا تتفق مع كايت وبيللا.

فاعترض بسرعة: «لا أحد سيصدق هذا! لا أتصور أن هناك من لا يتفق مع هاتين الفتاتين».

وفكرت فيي في أن ذلك صحيح، وقد شعرت بموجة من الغيرة تجتاحها. الجميع يحب صديقتيها فهما مشرقتان ومرحتان وبالطبع انفق جيب معهما. ومن الأسهل عليه أن يدّعي بأنه مغرم ببيللا أو كايت منه بلسانها اللاذع.

لقد فات الأوان الآن لتبدأ التصرّف برقّة، فقالت: «يمكنني أن أدّعي بأنني كنت أستغلك وعندما سئمت منك، تخليت عنك».

فقال: «أفضّل قصة الفتاة التي تريد الانتقام. شكراً».

نظر إلى فيي فبدت وجنتاها حمراوين وشعرها ينساب حريرياً حول وجهها. رفعت خصلة من شعرها ودسّتها خلف أذنها، فرأى الدم ينبض في وريدها بتوتر. كانت تبذل جهدها لكنها كانت تخشى حتماً هذا اليوم. أراد أن يلهيها عن التفكير بين وبأن عروساً سواها واقفة في المكان الذي كان يجب أن يكون لها هي، فقال: «طبعاً ستدركين لاحقاً أن حبيبتي السابقة المزعومة كانت تكذب وأنني مثالي رغم كل شيء، فتندمين!».

ـ لا، لن أشعر بأي ندم.

قالت فيي ذلك وهي تهز برأسها ولكن جيب فرح لأنها كانت تضحك.

لقد تمكن من التموبه عنها، فاستطاعت للمرة الأولى أن تسترخي. تكلّما مطولاً براحة ولكن عندما غادرا الطريق العام، عاد التشنج إليها. أمسكت الحريطة متوترة وراحت تدل جيب على الطريق التي يجب أن

يسلكاها للوصول إلى ريف ويلتشاير، ولكن عقلها كان مشغلاً بما يمكن أن يحصل عندما يصلان.

ـ لا تنسَ أنك عائد إلى لندن الليلة.

ـ ماذا؟ وأفوّت عليّ ذلك الاجتماع في زوريخ؟ مستحيل!

كانت فيبي ترتجف وبالكاد استوعبت تهكّمه: «حسناً، من الأفضل أن نطلب تاكسي عندما نصل إلى المحطة. يمكنني أن أصطحبك بعد الحفلة، لنقل عند الساعة السادسة والنصف... آه، المنعطف الثاني يساراً».

تذمّر جيب لتأخر المعلومة واستدار بالسيارة بسرعة: «شكراً على التحذير! هل تظنين أن بإمكانك أن تركزي على الخريطة وتنسي في الوقت الحاضر كيف تتخلصين مني؟».

ـ نعم، آسفة.

اتحنت فيبي مجدداً فوق الخريطة، لكن فكرة أخرى غزت ذهنها. كان جيب أنيقاً جداً في بذلته بحيث كان من السهل أن تنسى بأن لا عمل لديه. عضت على شفتها وهي تنظر إليه من تحت أهدابها.

ـ ألديك ما يكفي من مال لتعود إلى لندن؟ أحضرتُ مزيداً من السيولة في حال احتجت، لذا...

ـ لا تقلقي. سأتدبر أمري.

ـ لا أريدك أن تحتاج إلى المال.

ـ سأسجّل كل ما أنفقه اليوم ويمكننا أن نتحاسب في النهاية. يمكنك أن تضيفي ذلك على الأجر الذي اتفقنا عليه.

عادت فيبي إلى قراءة الخريطة وهي تجيبه: «حسناً، إذا كان هذا ما تريده».

الآن وقد انتهى هذا الحديث، ربما يمكنها التفكير بأمور أخرى تجنبت التفكير فيها حتى الآن.

أجلت حنجرتها: «ربما يجب أن نتكلم عمّا سيحصل عندما نصل

إلى هناك. ضع بعض قواعد الالتزام».

ـ الالتزام؟ ظننت أننا مجرد حبيبين.

ـ الالتزام كما في المعركة.

قالت ذلك بنظرة باردة، وكأنه لا يعرف ذلك.

ـ معركة؟ لم أظن أن الوضع بهذه الخطورة. ربما كان عليّ أن أناقش أكثر في مسألة المال.

ـ يمكنك أن تفكر في الأمر منذ الغد. أحذرك بأن القبل ستنهال عليك من أمي وبينيلوبي وسترتجفان على عنقك لأنك أنقذتني من التعنيس.

ـ لا ضير في بعض القبل.

ـ جيد و... ربما سأضطر... أنت تعلم... لأمسك يدك أو ما شابه. لمجرد الاستعراض فقط.

ـ أن نمسك يد بعضنا؟ يا له من مشهد غرامي!

ـ لن يتوقع أحد منك أن تطرحني أرضاً وتعانقني أمام الجميع لتثبت أنك تحبني.

ـ ومع ذلك، أظن أنه يجدر بنا أن نفعل شيئاً أكثر من مجرد مسك الأيدي. ربما يمكننا أن نعانق بعضنا بين الحين والآخر، لنظهر لهم كم نحب بعضنا.

احمرّ لون فيبي وتمنت لو أن باستطاعتها التكلم عن الأمر بخفّة مثل جيب. الأمر كله مجرد مزحة بالنسبة إليه.

ـ إذا كان هذا لا يزعجك.

رمقها جيب بإحدى تلك النظرات الجانبية: «لا، لا أمانع».

ـ ولكن طالما أنك تدرك بأن عناقنا لا يعني شيئاً إذا... إذا...

ـ إذا تجاوبتِ معي؟

ـ نعم.

قالت ذلك ممتنة لأنه أكمل الجملة عنها ولكن ممتعضة أيضاً للخفة

التي يتكلم فيها عن الموضوع. يمكنه على الأقل أن يدّعي بأنه يجد هذه المسألة دقيقة وصعبة بعض الشيء، كما نجدها هي.

عليها أن تقنعه بأنها هي أيضاً تتعامل مع المسألة وكأنها عمل ليس إلاّ. فقالت: «إذاً القاعدة الأولى هي عدم إساءة فهم أي احتكاك جسدي قد يحدث بيننا».

ـ جيد. وما هي القاعدة الثانية؟

سؤال جيد. اعتصرت فيبي ذهنها بحثاً عن شيء مناسب: «التقيد بالقصة التي اتفقنا عليها».

ـ والثالثة؟

ـ يكفي قاعدتان.

قالت ذلك لأنها لم تستطع التفكير في المزيد.

ـ حسناً. سأتذكرهما.

ـ الأجدر بك أن تفعل.

قالت فيبي ذلك فخورة بالقاعدتين اللتين استطاعت التفكير بهما. فقد أوضحت له تماماً أن علاقتهما مهنية محض، لئلا يحدث أي سوء تفاهم بينهما.

غادرا الطريق الرئيسي واجتازا الريف متجهين نحو القصر، فأخذت فيبي تعبث بالخريطة إلى أن كادت تتمزق. ألقى جيب نظرة ناحيتها.

ـ متوترة؟

ـ نعم. بل مرتعدة إذا كنت تريد أن تعرف. ما نفع الكذب في النهاية؟

ـ ما أسوأ ما قد يحصل؟

أراد أن يُشعرها بالاطمئنان ولكن لم يعرف كيف. ألا يُفترض بالأصدقاء أن يعرفوا مثل هذه الأمور غريزياً؟

كانت فيبي لا تزال تعبث بالخريطة بأصابعها الضطربة: «أظن أننا لا نبدو مقنعين معاً. بعض الأشخاص مثل أختي يفهمون من لغة الجسد.

سيراقبوننا عن كثب وأخشى أن يعرفوا أننا... لسنا حبيبين».

ـ تقصدين أنهم يمكنهم أن يعرفوا بمجرد النظر إلينا أننا لم نعانق بعضنا يوماً، مثلاً؟

ـ نعم.

نظر جيب في المرآة قبل أن يركن السيارة إلى جانب الطريق. هذا أمر يستطيع فعله لمساعدتها: «لتعانق إذاً الآن».

ـ ماذا؟

فك حزام الأمان بهدوء واقترب منها ليحلّ حزامها أيضاً: «أنت قلقة من أن يكتشف الناس أننا لم نتعانق ولو مرة واحدة في حياتنا، فإذا تعانقنا الآن، لن يعرفوا شيئاً. أليس كذلك؟».

ـ لست جاداً.

وانقبضت فيبي مكانها في المقعد بينما كان جيب يدنو منها: «ألا تظنينها فكرة جيدة؟ بالنسبة لي من الأسهل أن أعانقك عندما لا يكون هناك أحد سوانا، منه أمام الجموع الغفيرة، ولكن الأمر عائد لك. إذا كنت لا ترغبين بذلك، لابأس. لا أريد إرغامك. ظننت أن ذلك قد يساعد».

كان يتكلم عن الموضوع وكأن المسألة مسألة تناول فنجان قهوة أو عدم تناوله.

لكن فيبي غيرت رأيها فجأة: «قد يكون لديك وجهة نظر».

ففكرة معانقته أمام أنظار العائلة والأصدقاء كانت كافية لتجعل فيبي تتراجع. قد يكون «بين» أيضاً يراقبها وإذا كان أحد سيعرف أنها وجيب لم يتعانقا من قبل، فإنه هو. لا، جيب محق. من الأفضل أن يحاولا هنا، على الأقل سنعرف ما نتوقعه.

ـ لنقم بذلك.

ـ حسناً.

قلق جيب لاكتشافه أنه يودّ بقوة أن يعانقها. وذكّر نفسه بأن عناقاً

كهذا ليس ما يفعله الأصدقاء، في حين أنه يجب أن يكون صديقاً ليس إلاّ. من جهة أخرى، إن الادعاء بأنه حبيب فيبي طريقة لمساعدتها، وبالتالي فإنه يتصرف كصديق. وحتى جوش لا يمكنه الاعتراض.

رفع خصلات شعرها الحريري عن وجهها، ليرى العينين الخضراوين تحدقان به بحذر.

ابتسم جيب قائلاً: «استرخي. فكري في الأمر وكأنه تجربة عند الحياطة».

بسط راحة يده على خدها الحريري الملمس ورفع ذقنها بإصبعه لتنظر في عينيه، ومن دون أن يجفلها، اقترب منها أكثر. شعرت بلمسه الدافئة تسري في دمها وبقلبها ينبض في صدرها. دنا منها وعانقها برقة فكان عناقه عذباً، عذباً لدرجة أنه عندما دسّ أصابعه في شعرها وشدد من عناقها، لم تحاول مقاومته، بل تجاوبت معه وبادلته عناقه، فطوّقت عنقه بيديها، مستمتعة بملمس يديه على شعرها وبقوة جسده. أجل، كان عناقاً عذباً جداً...

وفجأة لم تعد كلمة عذب هي الصفة المناسبة، فقد تحوّل عناقهما إلى لحظات حميمة، تملأها المشاعر والأحاسيس، فشعرت فيبي أنها على وشك الاختناق وأنها خائفة من الحرارة التي تصاعدت بينهما. كان ذلك أكثر من عناق عذب، فقد كاد يفقدها السيطرة على النفس.

وهذا ليس ما كان يُفترض بهما التمرّن عليه. عبرت هذه الفكرة في ذهن فيبي ولكنها كانت مخطوفة الأنفاس لتفكر في هذا، ولم تتوقف عند ذلك إلاّ عندما ابتعد جيب عنها على مضض.

بقيا لحظة طويلة يحدق أحدهما بالآخر، مخطوفي الأنفاس. بدت عيناه شديدتي الزرقة ولكن ذلك البريق الساخر كان غائباً.

كان قلب فيبي يقفز بجنون ولو حاولت التكلم، لما استطاعت التفوه بكلمة واحدة. كل ما استطاعت التفكير فيه هو قربه منها وسهولة تكرار هذا العناق. كانت الفكرة نفسها متمكنة في عيني جيب، وبقي

الاحتمال وارداً إلى أن أبعد نفسه فجأة. تحلل شعره بيديه وجلس في مقعده وكل ما استطاع قوله هو «جيد».

- جيد.

- يسرّني أننا لم نفعل ذلك أمام والديك.

- نعم، بالفعل.

مرر جيب يده على وجهه وحاول تهدئة نبضات قلبه. كان يريد معانقتها كصديق ولكن كيف له أن يعلم أنها مثيرة وسترتاح بين ذراعيه؟ وكم سيكون من الصعب الابتعاد عنها؟ بعد لحظة، قال: «آسف لقد تجرفت قليلاً».

أخذت فيبي نفساً مرتجفاً، وإذ لم تشأ أن تدعه يعلم كم أثر فيها هذا العناق، قالت: «لا بأس. جيد أننا اتفقنا على القاعدة الأولى. أليس كذلك؟

أجاب جيب بجفاء ومن دون أن ينظر إليها: «جيد جداً».

وساد صمت ثقيل آخر، ركزت خلاله فيبي على التنفس. شهيق، زفير، شهيق، زفير... إلى أن هدأ نبضها واستطاعت النظر إلى جيب آملة أن تكون حالته مماثلة. ولكن للأسف كان تماماً كالعادة! عادت الضحكة إلى عينيه الزرقاوين، كما لو أنهما لم تحملا يوماً ذلك التعبير القلق وكما لو أنهما لم تحدقا فيها بصمت منذ لحظات. وفكرت فيبي أنها لا بد تخيلت ما رأته. كانت يداها ترتجفان كثيراً وأملت ألاّ يلاحظ ارتجافها لكنه سألها: «هل أنتِ بخير؟».

أرغمت فيبي نفسها على الابتسام وقالت كاذبة: «أنا بخير».

عندما وصلت إلى باحة القصر، كان عدد من الضيوف يجوبون المكان ويتحادثون.

أطفأ جيب المحرك، فخيّم صمت ثقيل في السيارة. بقيت فيبي مكانها من دون حراك. لقد انشغلت خلال الأميال الأخيرة بالتفكير في ذلك العناق لدرجة أنها نسيت أمر الزفاف. وها هي الآن أمام الواقع

المرير. سوف تكذب على أهلها وأصدقائها. جلست في مقعدها منشنجة خائفة.

- فيبي؟

- هذا جنون، أنا مرتعبة من الخروج من السيارة ولقاء عائلتي والأشخاص الذين عرفتهم وأحببتهم لسنوات.

خرج جيب من السيارة وارتدى سترته. لم يعد يريد التفكير في ذلك العناق. هو صديق فيبي وليس حبيبها ولن يدعها تنخبط في هذا. سوّى ربطة عنقه وأحضر قبعة فيبي ثم استدار ناحيتها ليفتح لها الباب، فما كان أمامها حلّ سوى النزّجل من السيارة.

وضع القبعة على رأسها قائلاً: «إسمعي، سيكون كل شيء رائعاً. ستسعدين الجميع وتحافظين على ماء الوجه، شامخة الرأس. أنت شجاعة وجميلة، لذا ادخلي واقضي عليهم».

نظرت فيبي في وجهه، فرأت الجدية تعود مجدداً إلى تلك العينين الزرقاوين، تماماً كما كانتا بعد أن عانقها، وشعرت بالدوار لتذكرها تلك اللحظة.

قال لها جيب: «سأكون إلى جانبك».

فشعرت فجأة بالشجاعة ومشت نحو الجمع.

تمتم قائلاً: «ابتسمي»، وبما أنها كانت تفكر في لمسه على ظهرها، سرعان ما ابتسمت. وكان ذلك في الوقت المناسب، إذ رأتها لارا وأسرعت نحوها تعانقها.

- فيبي! تبدين مذهلة.

بادلتها فيبي العناق، واعية لكل الأنظار التي استدارت نحوها عند السماع باسمها: «شكراً. وأنت أيضاً تبدين جميلة».

- ولكنني لا أقتنع بذلك البريق الذي يضفيه الحب على المغرمين.

قالت لارا ذلك واستدارت نحو جيب لتبتسم له: «لا بد أنك جيب. جميعنا يتحرق شوقاً للتعرف إليك».

توترت فيبي رغماً عنها واجتاح الاحمرار خديها: «هذه أختي لارا».

وشعرت بوخزة من الغيرة عندما ابتسم جيب لاختها وعانقها وكأنهما يعرفان بعضهما منذ زمن.

كانا متشابهين. كلاهما عديم المسؤولية، كلاهما يتمتع بسحر وحب للحياة. من الواضح أنهما سيتفقان كالسمن والعسل.

وتأبطت لارا ذراعه وكأنها تملكه: «تعال لأعرّفك على أمي وأبي. أعلم أنهما ينتظران رؤيتك بفارغ الصبر».

مدّ جيب يده الأخرى لفيبي، وكأن ذلك أكثر الأمور طبيعية في العالم، فأجفلت لدفء يده، بينما كانت لارا تقودها عبر الحشد وهي تتكلم بحماسة.

رأتهما أمها من بعيد فأمسكت بزوجها وأسرعا لملاقاتهما. عرّفتهما فيبي على جيب متوترة. وصافح جيب والديها.

- نحن سعداء جداً لحضورك. أخبرتني فيبي كم أنك منشغل في الوقت الحاضر.

لحسن الحظ، لم يسمح الوقت لأكثر من هذا الحديث، فقد بدأ المدعوون يتوجهون إلى القاعة التي ستجري فيها مراسم الزفاف، لكن فيبي عرفت أن أمها تخطط لاستجواب مفصّل في وقت لاحق. وأملت أن يتمكن جيب من مواصلة ادعائه تحت الضغط الحقيقي.

* * *

٦ ـ انتحال شخصية

حتى ولو لم يستطع، فهي لا تستطيع شيئاً الآن. لقد فات الأوان لكي تغير رأيها وتعترف بأنها اخترعت لنفسها حبيباً. هذا سيفسد يوم الجميع، وخاصة يومها هي.

أقرّت بأن جيب يبلي حسناً حتى الآن. ومن الواضح أن أمها اقتنت به وكذلك والدها، الأمر الذي فاجأ فيبي.

كان جيب يبدو مختلفاً اليوم. من الصعب أن تصدق بأنه الرجل المثير للاضطراب نفسه الذي يمضي نهاره منكمشاً في المطبخ. بدا مختلفاً وصارماً. قد تكون البذلة التي يرتديها قد ساهمت في هذا التغيير ولكنها ليست هي ما حوّله إلى هذا الرجل الجدي الذي يروق لوالدها. كانت عيناه ضاحكتين وفمه دائم الابتسام، والغريب أن والدها لم يستطع أن يرى ذلك الطيش فيه.

دخلا القاعة وتبعا لارا ليجلسا بالقرب منها. همست لارا في أذن أختها: «هل أنت بخير؟».

ـ نعم. لماذا؟

أومأت لارا مشيرة إلى مقدمة القاعة حيث كان العريس ينتظر متوتراً برفقة إشبينه: «كنت أخشى أن تنزعجي من رؤية بين مجدداً».

«بين»! نظرت فيبي إليه مرتبكة. كان حب حياتها، توأم روحها، الرجل الذي حلمت بالزواج منه. أوَما كان عليها أن تلاحظه فور دخولها؟

هزت رأسها قليلاً. هذه هي اللحظة التي كانت تخشاها منذ أشهر، فلم تستطع أن تصدق أنها لم تلحظ وجوده لو لم تشر إليه لارا. ثمة خطب حتماً!

ـ لا... لا أنا بخير.

قالت ذلك مجدداً لأختها، لكنها لم تكن كذلك. شعرت بأنها تائهة وكأن الشيء الوحيد الأكيد في حياتها قد تبدد فجأة. فأجابتها لارا هامسة: «لا يفاجئني ذلك. أنا أيضاً قد أشعر بذلك إذا كنت برفقة رجل مثل جيب... إنه ساحر، أليس كذلك؟».

تحولت نظرات فيبي إلى جيب، عن غير قصد. كان يتكلم مع فتاة وكانت تقهقه. كل ما استطاعت رؤيته من وجهه كان فكّه، لكن قلبها غاص وابتلعت ريقها.

ـ لا بأس به.

قالت ذلك، عالمة أن لارا لا تتوقع منها أن تظهر مشاعرها بقوة، لكن أختها اكتفت بالضحك: «أنت لا تخدعين أحداً فيبي، من الواضح أنك لا تستطيعين إشاحة نظرك عنه».

بعد ذلك طبعاً. حاولت فيبي جهدها لئلا تنظر إلى جيب مجدداً ولكن ذلك مستحيل ما دامت تجلس إلى جنبه مباشرة. حاولت التركيز على الزفاف، ولكن مهما جاهدت للنظر إلى الأمام، كانت عيناها تنحرفان نحو جيب، وكانت تفاصيل تافهة تستوقفها كبياض قميصه مقارنة بإسمرار بشرته، أو الخطوط المتفضضة عند زاوية عينيه، وذكرى عناقهما المحموم.

ضبطها جيب تنظر إليه مرة، وارتفع حاجبه متسائلاً على الأرجح لما لا تكفّ عن التحديق به. خشيت أن يظن بأنها نسيت القاعدة الأولى التي اتفقا عليها، وفهمت من ذلك العناق أكثر مما يجب، فأشاحت بنظرها بسرعة إلى مقدمة القاعة حيث كان «بين» وليزا يتبادلان المحابس. حاولت فيبي التركيز وذكرت نفسها بأن هذا هو «بين». «بين» الذي

أحبّه منذ الصغر، لدرجة أنها لم تتصور يوماً أنه قد يتبادل العهود مع امرأة أخرى. يجدر بها أن تفكر فيه وليس بجيب وبالطريقة التي عانقها بها في السيارة. عندما عاهد بين ليزا على الحب طيلة حياته، وجدت فيي نفسها تذكر عندما قال لها إنه سيحبها إلى الأبد. كانا سعيدين جداً معاً. من المستحيل ألاّ تفكر في اللحظات التي عاشاها أو ألا تشعر بغصة وهي تراه يدس المجس في إصبع ليزا.

لقد خشيت هذه اللحظة أشهراً، وتوقعت أن تشعر بألم فظيع في قلبها وليس بهذه الكآبة للأحلام التي خسرتها.

لقد انتهى الأمر. تزوج «بين» وما من طريقة لإعادة الزمن إلى الوراء. لا يمكنها أن تفكر في أنه قد يغير رأيه أو أن ليزا قد تختفي وتعود الأمور إلى سابق عهدها. حان الوقت لتكفّ عن الحلم والتمني بأن تكون الأمور مختلفة. حان الوقت لتتقبل الواقع كما هو.

لم تدرك فيي أن تعابيرها تغيرت لكنها وجدت يدها فجأة في يد جيب الدافئة، القوية، المريحة. ورغم أنها لم تحرؤ على النظر إليه، إلاّ أنها لم تسحب يدها. كانت تراقب بين يعانق ليزا وشعرت بقبضة جيب تشتدّ على يدها وتساءلت كيف يمكنها أن تشعر بكل ذرة من بشرته وهي في هذا الوضع.

عزفت الفرقة الموسيقية لحناً احتفالياً واستدار العروسان نحو الناس، مبتسمين.

انتهى كل شيء وعلمت فيي أنه عليها أن تشعر بالراحة، لكنها لم تحسّ سوى بالحرمان عندما أفلت جيب يدها. كان الناس يتزاحمون لتهنئة الثنائي السعيد، لكن لارا كانت تدفعهما نحو الباب، قائلة: «التناول المرطبات الآن، يمكننا أن نهنئهما لاحقاً».

لم تكن هذه فكرتهم وحدهم، فالحديقة المسيّجة بالورود والأشجار سرعان ما عجّت بالضيوف الذين راحوا يشربون ويتحادثون. وفكرت فيي في أن الاختيار الأكبر على وشك الحدوث. فجيب سيتعرض لبعض

الخبراء في الاستجواب، بدءاً بأمها التي كانت تتجه مباشرة نحوهم. سيكون عليها أن تبقى بجانبه إلى أن تأخذه إلى عم «بين» الذي لا يتكلم إلاّ عن الرياضة. وإذا ساءت الأمور كثيراً، تعرّفه على جار بيتلوي وديريك البالغ من العمر ٩٧ عاماً والذي من غير المحتمل أن يستجوبه عن المصارف أو عن علاقته الغرامية بخطيبة «بين» السابقة.

عندما رأت فيي أمها تقترب، قالت لجيب هامسة: «احترس! أنت على وشك التعرض لتقنيات متطورة في الاستجواب. لقد أرسلت الاستخبارات جنوداً ليتمرنوا مع أمي على كتم المعلومات في حال أمسك بهم العدو، وقلة منهم ينجحون بالاختبار».

منحها جيب ابتسامة مشرقة قبل أن يستدير ليحيي أمها. تحدثا مطولاً واستطاعت فيي رؤية ابتسامة أمها تكبر وهي على الأرجح تختبر ذكاءه.

بعد ذلك انتقلا إلى موضوع الزفاف، فقال جيب وهو ينظر حوله إلى الجدران الشاهقة والأبواب المذهلة والأحجار القديمة: «إنه مكان جميل».

بدت أمها غير مقتنعة: «نعم. بين وليزا أرادا إقامة الزفاف في قصر ولكنني شخصياً أفضل الإطار التقليدي وآمل أن تختار فيي إقامة زفافها في كنيسة».

ـ أمي!

ورمقتها فيي بنظرة معذبة.

ـ لا تقلقي ابنتي، لست ألمّح إلى شيء. ولكن في القرية كنيسة رائعة، وسيكون من المؤسف عدم الاستفادة منها.

فقال جيب وقد عجز عن مقاومة الفرصة بوضع ذراعه حول فيي:

ـ سوف نتذكر هذا. ما رأيك حبيبتي؟

ـ أظن أنه من المبكر التكلم عن الأعراس.

قالت ذلك مدركة تماماً أن ذراعه تلفها وأن أمها انتبهت لكلمة

«حبيبتي» وللطريقة التي ألمح فيها إلى أنهما يفكران في الزواج.

أجابت أمها بحماسة: «يمكنكما أن تبدآ بالتخطيط. يجب حجز الكنيسة قبل أشهر».

ـ نعم، لكننا بعيدين كل البعد عن هذه المرحلة.

كان جواب فيبي صارماً. حاولت التخلص من قبضة جيب لكنه كان يضمرها من دون أي جهد ظاهر وبدا لها أنه سيكون عليها البقاء حيث هي.

استطاعت أن ترى أمها تفكر منذ الآن بالفستان، والأزهار والمائدة، فأسرعت تقضي على فكرة الزواج في مهدها، قبل أن تحمل أمها مذياعاً وتعلن الخبر في المنطقة بأسرها. فقالت بحزم: «مهلاً أمي. نحن لم نقرر شيئاً. أليس كذلك جيب؟».

ورمقته بنظرة تحدّته فيها أن يناقضها.

ـ لأنني أطلب من فيبي أن تتزوجني منذ اللحظة التي التقينا فيها، لكنها لم تعطني جواباً بعد، لذا سأستمرّ بسؤالها إلى أن توافق.

ـ لم أعهدك خجولة يا فيبي.

ـ لست خجولة أمي.

ونظرت غاضبة إلى جيب. ما الذي حلّ بالقاعدة الثانية؟ التقيد بالقصة وتبسيطها! ثم قالت لأمها: «الزواج خطوة مهمة، ولا يجب استعجالها».

قالت الأم: «أنا آخر من قد يقترح هذا. ولكن إذا عرفتِ أنك وجدت الشخص المناسب، فلا سبب يدعو للانتظار. وأنت يجب ألاّ تنتظري طويلاً عزيزتي».

ـ هيا أمي، لم لا تقولينها؟ أنت في الثانية والثلاثين والوقت بدأ يمحك. ولا يمكن للشحاذ أن يشارط.

ـ لا تكوني سخيفة فيبي. عندما يرغب رجل مثل جيب بالزواج منك، فأنت حتماً لست كذلك! لا بد أن آلاف الفتيات يتمنين الحصول

عليه إذا كنت لا تريدينه.

ضحك جيب: «لا أظن ذلك، وحتى لو كانت هذه هي الحال، فلا يهمني».

واشتدت ذراعه حول خصر فيبي ونظر إليها مبتسماً: «منذ رأيت فيبي، عرفت أنها المرأة التي أريد، وسأستمرّ في طلب الزواج منها إلى أن تستسلم».

وبالطبع كانت أمها سعيدة لهذا الكلام: «أحسنت. لا تصغِ إليها، يا عزيزي. لطالما كانت عنيدة، هي لا تعرف صالحها أحياناً».

قالت فيبي من بين أسنانها: «أمي، أظنني أرى بينيلوبي هناك. أريدها أن تتعرف إلى جيب. سنعود إليك لاحقاً».

وقادت جيب بعيداً: «لا أعرف من أريد أن أقتل أولاً: أنت أو أمي».

فأجاب جيب بكل براءة: «لماذا، ماذا فعلت؟».

ـ أنت تعرف جيداً... كل تلك الأمور عن الزواج.

ـ لم أقل إننا سنتزوج. قلت إنني أريد الزواج بك.

ـ إنه الأمر نفسه. الآن سيصر على الجميع لأعلن خطبتنا.

ـ كنت أحاول الإبداع. أظهرتُ أنني مغرم بك وسوف تتذكر أمك تردده عندما تقولين لها إنك تخليت عني. ستبدو القصة أكثر إقناعاً في النهاية. ظننت أن هذا ما تريدينه.

ـ ما أردته هو أن تفعل ما أدفع لك لتفعله.

صرخت بذلك، لكنها سرعان ما وضعت يدها على جبينها.

ـ آسفة! أنا حقاً آسفة. أنا متوترة جداً. ما كان عليّ أن أصرخ في وجهك. أعرف أنك تسديني خدمة بحضورك اليوم.

وحان دور جيب ليتمتم بالذنب: «لا، الذنب ذنبي. فكرت فقط أن القصة قد تبدو أكثر إقناعاً لو قلت إنني أفكر في الزواج».

أجابت فيبي وهي تأخذ كوب عصير من أحد النادلين المارين

وترتشف بعضاً منه: «ربما أنت محق. بمكننا أن نقول إننا نحضّر للزفاف. ففي النهاية، إذا خدعنا أمي، يمكننا أن نخدع الجميع. وهي على أي حال ستخبر الكل بأننا مخطوبان وعلى الأرجح ذهبت إلى الكاهن لترى أيام السبت الشاغرة».

ثم لمحت والدة «بين» تتجه نحوهما، فلكزت جيب هامسة: «انتبه الآن. هذه بينلوبي».

- مرحباً عزيزتي.

حيّتها بينلوبي وغمرتها بعناق دافىء قبل أن تستدير باهتمام واضح إلى جيب: «إذاً هذا هو جيب! يسرّنا أنك استطعت المجيء. تأثرنا جميعنا عندما أخبرتنا «شيلا» بأن فيبي تعرفت على شاب رائع. ويبدو أنها تظن الأمر جاداً».

ونظرت متأملة فيهما، فانحنت فيبي أمام ما لا مفرّ منه: «في الواقع، كنا نفكر أن نحذو حذو «بين» وليزا».

ودنت من جيب، فشعرت بذراعه تمتد لتلف خصرها بسرعة. صفقت بينلوبي قائلة: «هذا خبر سار. لا بد أن أمك سعيدة. كانت قلقة جداً عليك».

خشيت فيبي أن يحدد جيب موعداً لزفافهما المزعوم ويخترع الشيبين وهمين وما إلى هنالك، فسارعت تقول: «لم نضع بعد أي مخططات نهائية».

كان أحدهم يلوّح لبينلوبي من وراء كتف فيبي، فقالت المرأة متأسفة: «علّي أن أستأذن. يستحيل التكلم مع أحد في هذا الوقت، لكننا سنتحدث الليلة. سوف يبقى أفراد العائلة والأصدقاء المقربون، ونحن متشوقون للتعرف إلى جيب».

سارعت فيبي تقول: «آه! جيب لن يكون هنا. عليه أن يعود الليلة إلى لندن. في الواقع كنا نقول للتو إنه يجب أن يكلّم عاملة الاستقبال لتحجز له تاكسي. أليس كذلك جيب؟».

- صحيح.

- ولكن لماذا؟

وراحت بينلوبي تنظر خائبة من الواحد إلى الآخر، فأجابت فيبي:

- أخشى أن لديه اجتماع عمل مهم.

- ليس يوم الأحد.

- إنه صباح يوم الاثنين. لذا عليه أن يسافر غداً.

- وإن يكن! الرحلة إلى لندن لا تستغرق سوى ساعتين، لذا حتى ولو كان سفره عند الظهر، يبقى لديه الوقت الكافي ليلحق بالطائرة.

فأجاب جيب: «هذا صحيح».

رمقته فيبي بنظرة ذات معنى: «ماذا عن التحضيرات التي يجب أن تقوم بها؟».

أجابها بابتسامة: «لقد أنجزت معظمها. لا ينقصني سوى قراءة تقرير ويمكنني القيام بذلك في الطائرة».

فقالت بينلوبي متوسلة: «إبقَ إذاً. أنا واثقة من أن فيبي ستكون سعيدة لو بقيت الليلة هنا، كما أنه سيسنى لنا جميعاً أن نتعرف إليك كما ينبغي، ولا تقلق بشأن التنامة، فالمكان فسيح شاسع».

صرّت فيبي على أسنانها وحاولت أن تبتسم.

- لا أودّ أن أؤثر على عمل جيب. إنه يواجه ضغطاً كثيراً في الوقت الحاضر.

ونظرت إلى جيب لتذكّره بما يفترض به أن يفعله اليوم، لكنه تجاهل نظرتها كلياً وقال: «أنت أهم من العمل بكثير».

نظرت إليه بينلوبي سعيدة: «إذاً ستبقى الليلة».

- نعم. أودّ ذلك، شكراً.

- رائع! آه! ها هو «بين».

ولوّحت بينلوبي لابنها متحمسة: «أنظر من هنا! وبجملان أيضاً أتياة سارة!».

www.liilas.com.br

كان «بين» قد ابتعد عن عروسه بين الحشود، فكان عليه مواجهة فيبي وحدها، فشعر بشيء من الانزعاج... وربما هو أيضاً انزعج عندما رأى الرجل الآخر يطبع قبلة على خدّ فيبي.

قال «بين»: «شكراً على مجيئك. تمنيت فعلاً أن تأتي».

ـ بالطبع! ما كنت لأفوّت زفافك.

وشعرت فيبي بالتأثر وهي تبادله عناقه. لقد كانا كل شيء بالنسبة لبعضهما وها هو «بين» الآن عاجز عن النظر في عينيها. راقبها جيب بتمعّن. كانت تبتسم ولكنه لاحظ الحزن خلف ابتسامتها. ودّ لو يلكم «بين» على أنفه ويضمّها بين ذراعيه لبرئها ولكن كل ما استطاع فعله كان الوقوف ومراقبتها تتصرف بشجاعة.

كانت تقول له: «آمل أن تسعد أنت وليزا».

ـ شكراً.

فكّر جيب في أن هذا الجواب غير مناسب اطلاقاً. كان بإمكان «بين» على الأقل أن يقرّ بمدى صعوبة هذه اللحظة على فيبي أو يقول لها كم أنه يقدّر جهودها لتدّعي بأن كل شيء على ما يرام وأنه لم يحطّم قلبها.

بدا «بين» منزعجاً وكان جيب يراقبه من دون أي تأثر. ما الذي أعجب فيبي فيه؟ يبدو مرحاً ولكنه ليس من النوع الذي يناسب فيبي. هي بحاجة إلى شخص أكثر حركة وحماساً ليقدّرها.

ـ هذا جيب.

عرّفته فيبي على جيب، فتصافح الرجلان من دون أي حماس ظاهر.

ـ يهاني.

ساد صمت قصير بعد أن قال جيب ذلك. كانت فيبي لا تزال تبتسم، ثم مدّت يدها وتأبطت ذراع جيب قائلة: «عليك أن تهنئنا نحن أيضاً يا بين. فأنا وجيب نفكر في الزواج».

ـ حقاً؟

بدا فعلاً أن «بين» أخذ على حين غرة. واستطاع جيب أن يلحظ

الراحة على وجهه ممزوجة بالمفاجأة ولمحة حزن. وتقدم مجدداً يقبّل خد فيبي: «هذه أخبار رائعة. يهاني فيبي».

ثم نظر بحذر إلى جيب قائلاً: «أنت رجل محظوظ».

ـ أعرف ذلك.

وما إن انسحب بين ليحيي المهنئين الآخرين، حتى راحت فيبي تهاجم جيب: «هل كان عليك أن تكون جافاً معه لهذه الدرجة؟».

في الواقع هي لم تره يتصرف بهذا الشكل من قبل، فقد كان معظم الوقت عابساً: «إنه زفاف «بين» ويفترض بك أن تكون لطيفاً معه».

ـ لا يمكنك أن تتوقعي مني أن أكون ودوداً مع الرجل الذي سبّب الألم للمرأة التي أحب.

ـ لا أظن من الضروري أن تأخذ دورك على محمل الجد هكذا. بدا بين خائفاً من أن تضربه.

ـ لكان ذلك أيقظه قليلاً. ما الذي يعجبك في ذلك الرجل على أي حال؟ إنه ليس شعلة نار، أليس كذلك؟

قالت فيبي مدافعة عنه: «بين رجل لطيف جداً. إنه صادق و...

جذير بالثقة، على عكس بعض الأشخاص! لمَ بحق الله قلت ليتيلوي إنك ستمضي الليلة هنا في حين أننا اتفقنا على أن نعود إلى لندن؟».

ـ لأن ما من خطيب يحترم نفسه يتركك بمفردك في أكثر ليلة تحتاجين فيها إلى دعم. حتى ولو كنت مغرماً بي بجنون، سيكون من الصعب عليك أن تري «بين» يتزوج. لو عدتُ إلى لندن متذرعاً بحجة السفر إلى سويسرا يوم الاثنين، لبدا الأمر مثيراً للشك.

قال جيب في نفسه إنه يحاول فقط أن يدعمها، وفكر في أنه سيكون من الأسهل على فيبي مواجهة الواقع لو بقي معها صديق هذه الليلة. لم يتخيل نفسه راحلاً، تاركاً إيّاها تتخبط وحدها في الحزن. قد لا تريده ولكنها حتماً ستحتاج إلى أحدهم، وقد يكون هو من تحتاج. وواقع أنه سارع لاستغلال فرصة البقاء لا علاقة لها إطلاقاً بمعرفته أن هذه هي

فرصته الوحيدة للتقرب منها.

طبعاً لا!

نظرت إليه فيبي بإحباط. ما يقوله منطقي والحجة الوحيدة التي استطاعت إيجادها هي أنه لا يفعل كما قيل له، الأمر الذي قد يبدو صبيانياً بعض الشيء.

كيف تقول لجيب بأن فكرة إمضاء الليلة معه تزعجها أكثر من مواجهة «بين».

قالت أخيراً: «حتماً ستُثار الشكوك لو رحلت الآن. ثم ستظن بينلوبي أننا نتشاجرنا. لذا أظن أنه من الأفضل أن نبقى».

نظرت حولها متنهدة، وأجبرت نفسها على الابتسام عندما رأت صديقاً قديماً لعائلة «بين».

- من الأفضل أن نمشي. ومن الآن فصاعداً هلاَّ توقفت عن إدراج التعديلات على القصة التي اتفقنا عليها؟ وإذا افترقنا عن بعضنا قليلاً، لا تتكلم كثيراً! انتقِ مواضيع عامة. تكلم عن الرياضة أو ما شابه.

ضرب جيب التحية لفيبي قائلاً: «أمرك سيدتي!».

أمسكت فيبي طبقاً وانضمت إلى المقصف. كانت قد وُضعت موائد مستديرة حيث يستطيع الضيوف الجلوس والتحدث. وأخذت فيبي تنظر حولها محاولة العثور على جيب الذي ابتعد عنها. لم تعد تثق به الآن.

كانت بجانبها شابة تعرفها منذ أن كانت تخرج مع بين، وكانت تحدثها عن التزلج والعطلات، لكن فيبي كانت مشغولة التفكير في جيب وفي ما عساه يقول الآن، بحيث لم تستطع التركيز، فاكتفت بإيماءة بين الحين والآخر، في حين كانت عيناها تجولان بين الجمع بتوتر متصاعد.

ها هو! كان جالساً.. آه يا إلهي! إنه جالس مع والديها ولارا ممتاز! لا بد أن هناك أكثر من مئة مدعو ولكن جيب لم يختر الجلوس والتحدث إلا مع أكثر الأشخاص استجواباً. أمسكت قطعتين من الدجاج واعتذرت من قائمتها بسرعة قبل أن تسرع نحوه وتوقفه عما

يزيده على علاقتهما المزعومة. لزمها الكثير من الوقت لتصل، إذ كان الناس يستوقفونها ويحيّونها على جيب، فقالوا لها:

- إنه ساحر جداً.

- إنه ظريف.

- هو مثير للاهتمام.

وتنهدت أكثر من فتاة قائلة بحسد: «إنه جذاب للغاية! كم أنت محظوظة يا فيبي».

ألم تقل لجيب بوضوح أن يتكلم في مواضيع عامة؟ يبدو أنه لم يسمع كلمة مما قالته. بدلاً من أن يتحدث عن الطقس أو الطرقات، يبدو أنه راح يتكلم مع كل من يعرفها.

عندما اقتربت من المائدة، لوّحت لها أمها فرحة: «آه، ها أنت».

بينما استدار جيب بسرعة ليرى فيبي محطوظة الأنفاس، تحمل طبقاً مدت على استعداد لتقطع به الرؤوس.

نهض وسحب لها كرسياً لتجلس بجانبه، ثم أخذ منها الطبق كتدبير احترازي. الآن وقد أصبحت قريبة جداً، أمكنه أن يرى الوميض الغاضب في عينيها. قال لها: «لقد أضمنتك، وأملت أن تجديني في النهاية».

وقالت لارا لفيبي التي كانت على وشك رفض الجلوس بجانب جيب: «كان جيب بسليتا».

- هذا ما رأيته.

وتابعت لارا: «كان يخبرنا كيف تعرفتما على بعضكما. لم تقولي لنا أن الأمر كان بمثل هذه الرومنسية!».

الرومنسية؟ ما الذي قاله لهم؟ ونظرت فيبي إلى جيب بعينين تلمعان غضباً، ازداد عندما رأت عينيه تترقصان.

- لم أخبرهم كل شيء.

فضحك الجميع وكأنه أخبرهم أكثر مما ينبغي. حاولت أن تضبط

أعصابها جاهدة: «وربما عليّ أن أعرف ما الذي قاله».

ـ قال إنه من الرائع أن يلتقي المرء شخصاً من دون أن يكون لديه أي فكرة مسبقة عنه.

ـ نعم وأحد أسباب حبه لك هو أنك لا تأبهين لما يفعله.

نظرت فيبي إلى جيب وسألته: «هل هذا صحيح؟».

في الواقع كانت عاجزة عن التفكير في أي شيء آخر، إذ لم تكن تفهم شيئاً مما يقولونه.

ـ لم أخبرهم كم شعرت بالإحراج عندما أدركتِ أنني رئيس المصرف وليس الموظف الذي ظننتني هو عندما كنت تحاولين الحصول على المقابلة. كنت تتوقعين أن يكون الرئيس رجلاً خارقاً. أليس كذلك حبيبتي؟

حاولت فيبي بشكل ما أن تبتسم قائلة: «كانت فعلاً مفاجأة».

وتدخل والدها قائلاً: «كان عليك أن تخبرينا ما يفعله جيب. قلتِ لأمك إنه يعمل في مصرف وكأنه مجرد أمين صندوق. شعرت بالغباء عندما أدركت الحقيقة».

وقالت لارا: «يبدو هذا المصرف الاجتماعي رائعاً. إنه مختلف عن السياسة وغيرها من الأعمال».

وضع جيب ذراعه حول كتفي فيبي: «هذا بالضبط ما أحبه في فيبي. هي لا تهتم لما أفعله أو للمال الذي أجنيه».

ثم ابتسم في عينيها: «أنت تحبينني لما أنا عليه، حبي. أليس كذلك؟».

تشابكت نظراتهما وهي تجيبه: «أنت تعرف كم أحبك».

فضحك وأفلتها من بين ذراعيه.

وسألتها لارا: «ماذا شعرت عندما اكتشفتِ أن جيب هو الرئيس. لا بد أنك أحسست بالغباء. أليس كذلك؟».

ـ بصراحة، لم أصدق كلمة في البداية.

عندما دخلا جناحهما، وأغلقا الباب خلفهما قبل أن يعودا لتناول العشاء والرقص، قالت له: «رئيس! أما كان بإمكانك أن تختار منصباً آخر، كمستشار الموارد المالية أو مدير عام الأمم المتحدة؟».

ـ لطالما حلمت أن أدير مصرفاً.

ـ لم توقف حلمك عند المصرف؟ لم لم تدّعِ بأنك رئيس الولايات المتحدة؟

ـ كانوا سيعلمون أن هذا غير صحيح.

صرفت فيبي بأسنانها للمنطق الذي يتكلم فيه وقالت: «وكأن قصتك حول إدارة المصرف سهلة التصديق!».

ـ لكنهم صدقوها.

ـ ظننت أننا اتفقنا على التقيد بالقصة الأساسية.

ونزعت القبعة عن رأسها، غاضبة. كانت تشعر بالصداع وأكاذيب جيب المتزايدة لم تساعدها مطلقاً.

ـ قلنا لا مزيد من التعديلات. الآن لست فقط مخطوبة إليك وسأمضي الليلة معك، إنما أنا أيضاً شريكة في قضية انتحال شخصية. هل فكرت في ما قد يحدث لو عرف ج.ج بأنك تنتحل شخصيته؟.

ـ لا أظن أن هذا محتمل. كيف سيعرف بما يجري في زفاف تكليزي؟

رمقته فيبي بنظرة قاتمة: «هؤلاء الأشخاص لديهم محامون. إذا رفع عليك دعوى، فلا تظن أنني سأدعمك. يا إلهي! يا له من نهار»!.

تنهدت وغاصت في الأريكة بعد أن خلعت حذاءها، وقالت: «ما زال أمامنا الليلة!».

* * *

٧ ـ تمثيل . . . أو واقع؟

ـ آه، هيا لم يكن الأمر بهذا السوء!

قال هذا وهو يرخي ربطة عنقه بتنهيدة ارتياح ويجول في الغرفة، متأملاً الجدران الخشبية والمدفأة الحجرية الرائعة.

ـ ربما ليس بالنسبة إليك، ولكن الأمر كان أشبه بكابوس بالنسبة لي. لم أكن أعرف أي قصة ستختلق وكنت أتوقع في أي لحظة أن يكتشف أحدهم أنك مزيّف. كم سيسعدني أن يحصل ذلك!

ـ أهدأي. كل شيء على ما يرام. أنت تعبة وما تحتاجينه هو حمام دافئ.

ومن دون أن ينتظر ردها، توجه نحو باب مجاور وما هي إلاّ لحظات حتى سُمع خرير المياه في الحمام: «سأحضر لك شراباً، لكي نسترخي. ستشعرين بحال أفضل».

شعرت فيبي برغبة تدفعها لتقول له إنها هي من يقرر ما يشعرها بحال أفضل، ولكن عندما وصلت إليها رائحة الرغوة الزكية في الحمام، أغرتها فكرة الاسترخاء في المياه.

فاستندت إلى الوسائد وتركت جيب يحضر لها الحمام.

وأخيراً فتح لها الباب وأمسك بالمقبض قائلاً:

ـ حمامك جاهز سيدتي.

كان الحمام مذهلاً كباقي أجزاء الجناح. تعلوه طاقة حجرية ضيقة. وكان الحائط مزيناً برأس دب ومجموعة من التحف الأثرية. ولاحظت

فيبي أن جيب حضّر لها المناشف ووضع لها قرب المغطس كل ما تحتاجه من صابون وكريمات يقدمها الفندق.

تأثرت رغماً عنها بالعناء الذي تكبّده لأجلها، فشكرته. عندئذٍ منحها واحدة من ابتساماته المثيرة للاضطراب التي تفقدها دائماً السيطرة على نفسها وقال لها: «إنها طريقتي في الاعتذار. لم أقصد أن أضايقك اليوم».

ـ لا عليك.

قالت فيبي ذلك، شاعرة أن انزعاجها قد تبدد في لحظة.

عندما غادر الجناح، خلعت فيبي ملابسها ودخلت الحمام. كان المغطس واسعاً بحجم حوض للسباحة، فاسترخت فيه منتهدة، غامرة نفسها في المياه المعطرة. وربما جيب ليس سيئاً في النهاية. ربما كانت تبالغ في ردات فعلها. جيب محق. الجميع تقبّله من دون سؤال ولم يكن من حاجة لكل ذلك التوتر. لقد أرعبها الوضع برمّته ولكنها في النهاية أدركت أن ما أثار توترها فعلاً لم يكن الزفاف ولا لقاءها بيين أو خداعها لعائلتها، إنما جيب نفسه، جيب وابتسامته المتلألئة ويده الدافئة على ظهرها.

قال لها إنها جميلة وشجاعة وما كانت تفكر فيه في لحظة زواج «بين» كان النظرة في عينيه وليس الغصة التي في قلبها. النظرة في عينيه، ولمسة يده على بشرتها!

لكان الأمر أسهل بكثير لو لم يعانقها. فعلاً، لم يكن من حاجة لذلك. لو فكرت في الأمر، لأدركت أن ما من أحد يتوقع منهما أن يعانقا بعضهما هكذا وسط زفاف «بين». كان يجدر بها أن تقول له إنها فكرة سخيفة وتدفعه عنها بصرامة.

ولكن عوضاً عن ذلك، دنت منه وبادلته عناقه. اجتاحتها موجة حارة لا صلة لها بالحمام الذي تأخذه.

غادرت الحمام ودخلت الغرفة فرأت جيب ممدداً على السرير

وقد أرخى قميصه ورفع كمّيه، واضعاً يديه خلف رأسه. بدا مسترخياً، كسولاً، ما أثار توتر فيبي بعد أن كانت أعصابها قد هدأت خلال الاستحمام.

استدار جيب نحوها فرآها مرتدية ثوب حمام الفندق وبشرتها تلمع، فساد صمت قصير، لكنه خرقه بعد لحظات: «أتشعرين بتحسّن؟».

- نعم، شكراً.

وشعرت فجأة بالخجل أمامه: «يمكنك أن تستحم إذا أردت».

- سأدخل بعد قليل. هذا السرير مريح جداً. يجب أن تجربيه.

ترددت فيبي. كل ذرّة فيها كانت تنبئها بأن الجلوس جنبه لن يؤدي سوى إلى المتاعب ولكن الوقت ما زال باكراً للنزول إلى العشاء، ثم هي ستجلس فقط على السرير وليس داخله، وشتان ما بين الأمرين فما العيب في ذلك؟

صعدت إلى جانبه، وحاولت ألاّ تقترب كثيراً منه. كان السرير كبيراً جداً وكما قال جيب، مريحاً أيضاً. فاستندت فيبي إلى الخلف متنهدة. بعد كل ضغوطات النهار، كان من الجيد أن تسترخي قليلاً.

- لطالما أردت أن أنام في سرير كهذا.

خرق جيب الصمت بقوله هذا، فأجفلت فيبي بعد أن كانت على وشك أن تغفو. كان صعباً عليها أن تفكر في ما سيحدث الليلة من دون أن تشغل بالها بمسألة النوم في الغرفة نفسها مع جيب.

- آمل ألاّ تكون تنوي النوم هنا الليلة!

- وأين سأنام؟ هذه الأرض مصنوعة من الحجارة.

نظرت فيبي في أرجاء الغرفة، بحثاً عن مكان مريح قد يمضي فيه الليل، فلم تجد سوى الأريكة. وتنهدت في سرها. ظنت أن فكرة الزواج في قصر بدت رومنسية جداً لين وليزا، ولكن الآن وقد رأت هذا، فكرت في أن غرفة فندق بسريرين أنسب بكثير.

- ألا تظن أن النوم في سرير واحد أمر حميم جداً بالنسبة إلى شخصين

لم...؟

فابتسم جيب قائلاً: «لن أنسى أنك ربة عملي إن كان هذا ما يقلقك».

- انظروا من يتكلم! الشخص الذي نسي طيلة النهار أنني ربة عمله وبقي رافضاً أخذ المسألة على محمل الجد.

- آه، أنت تبالغين.

- اتفقنا على أن تنقيد بالقصة الأصلية وتبسّطها قدر الإمكان. أتذكر؟ الادّعاء بأنك رئيس مصرف عالمي لم يكن وارداً في القصة الأساسية.

نظر إليها جيب متسائلاً إن كان لديها أي فكرة عن مدى روعتها بشعرها الداكن وعينيها الخضراوين المشعتين غضباً.

- لقد نقيدت بالمهم، وهو أنني مغرم بك. لا شيء أبسط من ذلك. وقد نجحت. لا؟

أخفضت فيبي عينيها أولاً. لم تستطع أن تنكر بأنه كان مقنعاً جداً. إنه حتماً ممثل بارع أكثر منها.

- بلى.

إنني أحاول القيام بمهمتي على أكمل وجه. ولو كنتِ ربة عمل محنّكة، لما فكرت حتى بتركي أنام على الأرض... ثم هذا السرير يتسع لعائلة من ستة أفراد على الأقل. كما يمكننا أن نضع الوسائد بيننا، إذا كنت تخشين أن أقترب منك.

- إيّاك أن تجرؤ على ذلك!

- ماذا قررت؟ أعرف أن ذلك لن يعني شيئاً. لم أنسَ البند الأول من اتفاقنا.

سئمت فيبي من الجدال وقالت له: «حسناً ولكن لا أريد سماع المزيد من التفاهات الليلة، وإلاّ سأنام على الأرض في نهاية المطاف. ولا يهمني إذا كانت باردة أم لا».

لم يكن أمامهما سوى ساعتين قبل أن ينزلا للعشاء ولكن فيبي وجدت الوقت طويلاً جداً، لا لأنه قال ما أزعجها، إنما لأنها كلما أغمضت عينيها، رأت ابتسامته تتراقص خلف جفنيها. وعندما تفتحهما، تنسلان ناحيته رغماً عنها.

في الواقع، ارتاحت كثيراً عندما ذهب جيب ليستحم. فاستغلت الفرصة لتخرج من السرير وترتدي الفستان الذي ابتاعته خصيصاً لهذه الأمسية. كان بسيطاً جداً، ضيقاً وذا لون أخضر يبرز لون عينيها الخضراوين.

كانت فيبي مترددة بشأن ارتدائه ولكن كايت وبيللا أقنعتاها وقالتا لها إن ما من أحد سيصدق أنها محطمة القلب إذا ما ارتدته، فهو بعكس صورة امرأة تسيطر على حياتها.

يا للسخرية! فهي لا تشعر مطلقاً بهذه السيطرة عندما يكون جيب حاضراً.

انفتح باب الحمام وخرج جيب واضعاً منشفة على وسطه. وعندما رآها راح يصفّر، فاستدارت بسرعة منخطفة الأنفاس، إذ فتنتها عضلاته المفتولة واسمرار جسمه. عادت تنظر إلى المرآة وتسرّح شعرها.

قالت له وقد أرعبها ارتجاف صوتها: «أمل أنك لا تفكر في الذهاب هكذا».

تأمل جيب بذلته الرسمية من دون حماس: «يا ليتني أستطيع! أظنني سأرتدي هذه مجدداً. ليس لدي أي شيء آخر أرتديه. وقبل أن تقولي شيئاً، نعم أعرف، إنها غلطتي. لا أحب ارتداء البذلات. لا أطيق ربطات العنق».

ـ غريب أنك لست معتاداً على ارتدائها في حين أنك تدير مصرفاً.

قالت فيبي ذلك، لاجئة إلى السخرية لتلهي نفسها عن التحديق فيه.

رمقها بنظرة سريعة وابتسامة مشرقة قائلاً: «ربما مصرفي مختلف عن

باقي المصارف وليس من الضروري أن يرتدي فيه المرء بذلة يبدو فيها كالدمية طول النهار».

تمتمت من بين أسنانها إذ كان تضع الدبابيس في فمها وهي تثبت شعرها: «ألا تريد لموظفيك أن يبدوا محترفين؟».

ـ مصرفي يُعنى بقدرات الموظف ومؤهلاته وليس بشكله.

فأجابته بسخرية: «أجل. يا له من مصرف ناجح! والآن أرجوك، هلاّ ابتعدت الليلة عن موضوع المصرف؟ لا أريد أن نفشل الآن بعد أن وصلنا إلى هنا، سأقدّر جداً لو تذكرت ما جئت إلى هنا لتفعله».

ـ لأظهر للجميع كم أنا مغرم بك؟

قالت: «نعم» من دون أن تتمكن من النظر مباشرة في عينيه، وألهت نفسها بتأمل العقد الذي أصرّت بيللا على أن تعيرها إياه.

ـ لن يكون ذلك صعباً الليلة نظراً لما ترتديه. تبدين رائعة للغاية.

أجفلت فيبي واشتبكت نظراتها بعينيه في المرآة. كان يبتسم، وربما يمزح، ولكن نبرة صوته جعلتها فجأة تشعر بقوة حضوره.

أشاحت بنظرها قائلة: «لا حاجة بك للادعاء منذ الآن. لا أحد هنا».

ـ أعلم.

تبخّر الهواء فجأة من رئتي فيبي، فانصرفت تبحث عن العقد في الدُرج، لتزيل وطأة الصمت، وشعرت براحة لا توصف عندما عاد جيب إلى الحمام ليخرج منه مرتدياً سرواله وقميصه ثم راح يربط ربطة العنق.

الحميمية التي أضفتها عملية ارتداء الملابس أثارت توتر فيبي. فحاولت أن تضع عقد بيللا المذهل حول عنقها ولكن وجود جيب لم يفعل سوى أن زاد ارتجاف أصابعها.

وإذ رآها جيب تتصارع مع العقد، عرض عليها قائلاً: «دعيني

أضعه لك».

كان من الغباء أن ترفض، فأحنت رأسها في حين دنا جيب منها وأزاح شعرها جانباً. لمسة أصابعه على عنقها أرسلت رجفة في كيانها بأسره، فوقفت جامدة مكانها وهو يضع لها العقد.

وبدلاً من أن يتراجع عندما أنهى مهمته، ترك جيب يديه تستريحان على كتفيها، فرفعت فيي رأسها ببطء واشتبكت نظراتهما في المرآة. كانت العينان الزرقاوان مشتعلتين بالتعبير نفسه عندما عانقها في السيارة وبدأ قلبها يقفز في صدرها.

بللت شفتيها بجهد بالغ للتكلم، لكنها لم تستطع فأجلت صوتها وحاولت مجدداً: «من الأفضل أن نستعدّ وإلاّ تأخرنا».

أنزل جيب يديه وتراجع إلى الخلف: «لا، لا نريد هذا. قد يظن الجميع أن شخصين مغرمين مثلنا لديهما أمور كثيرة يقومان بها لوحدهما ولن يخطر لهم أننا نرتدي ملابسنا لننزل ونمضي أمسيتنا بالكلام».

ـ كان ذلك جزءاً من الاتفاقية.

ـ آه، نعم الاتفاقية. يجب ألاّ ننسى ذلك.

اجتازا الفناء صامتين واتجها نحو الثانية الرئيسية. كانت فيي تشعر بوجود جيب خلفها مباشرة وكانت معدتها مشنجة بسبب شعورها بوجوده يضغط على أعصابها ولم يعجب ذلك فيي إطلاقاً.

توزع المدعون على خمس موائد مستديرة. وكان جيب وفيي جالسين مع لارا التي أمضت وقتها تتذمر من والديها وعدم موافقتهما غير المبررة على صديقها الأخير.

أسرّت لارا إليهما قائلة: «لديه فرقة موسيقية خاصة به. لقد أتى أحد المتخصصين في الموسيقى ليستمع إلى أحد أعمالهم وهو يظن أن لديهم مستقبلاً باهراً. سيذهبون قريباً إلى لندن ليسجّلوا أسطوانة ولكن هذا لا يرضي أمي وأبي. إنهما تقليديان جداً. لا يحتملان طريقة عيش جاد. لا يفهمان أنه فنان، وأنه يختنق في المحيط العادي. لهذا السبب لم

تصله دعوة إلى الزفاف، رغم أننا نخرج معاً منذ أسابيع. يريدانني أن أجد شخصاً مثل جيب، لديه عمل جيد».

نظرت فيي إلى جيب رغماً عنها، فقال مستفزاً: «يسعدني أن أعرف أن هناك من يقدّر جهودي».

لم تلحظ لارا السخرية في كلامه فقالت له: «آه، يظنان أنك رائع. وأمي تودّ دعوتك لقضاء عطلة نهاية الأسبوع لكي تتمكن من استجوابك كما يجب. من الأفضل أن تستعدي فيي، فأمي ستُخرج كل اليومات الصور وتخبر جيب عن المرة التي خلعت فيها سروالك الداخلي في وسط الحفلة».

ـ كنت في الثالثة من عمري.

قالت لارا: «على الأقل، لن يرى جاد هذا. كان عليك أن تكون شخصاً ثائراً يا جيب، ففي هذه الحالة، ما كانا ليفكرا في دعوتك».

وتنهدت فيي في داخلها. يا إلهي! كان عليها أن تتوقع أن أمها ستبدأ بالتخطيط للقاءات عائلية حميمة. والآن عليها أن تختلق الأعذار لتبرر رفض الدعوة إلى عطلة نهاية الأسبوع، إلى أن يتسنى الوقت الكافي لعلاقتهما المزعومة كي تنتهي.

ولكن كيف عساها تفكر وجيب جالس إلى جانبها؟ كانت واعية إلى كل حركة يقوم بها، إلى كل نظرة يرمقها بها، إلى كل ابتسامة يبادرها بها.

لم تستطع أن تأكل شيئاً فراحت تعبث بطعامها، وهي تحاول أن تعرف ما إذا كانت تتوق لكي تنتهي هذه الأمسية أو تخشى ذلك لأنها ستكون معه بمفردها مجدداً.

عليها أن تكفّ عن التفكير بجيب، لو كانت كايت وبيللا هنا، لقالتا لها حتماً إنها تحوّل مشاعرها من «بين» إلى جيب لأنه في متناول يدها.

وحاولت أن تقنع نفسها بأن جيب ليس سوى بديل عن «بين». كل

ما عليها فعله هو التركيز على «بين» فيهدأ نبضها قليلاً، وتنحلّ العقدة في معدتها.

كان من الصعب عليها أن تفكر في «بين» وهو بعيد عن نظرها، ولكن ما إن عزفت الموسيقى وتوجّه العروسان إلى حلبة الرقص، وسط إعجاب الجميع وتنهداتهم، حتى نسنّت الفرصة لفيبي، فأدارت كرسيّها كما فعل كثيرون، لتتمكن من رؤية بين وليزا عن كثب. بدا مكتفياً، راضياً. ليس الرجل الأكثر إثارة في العالم ولكنه راضٍ.

من أين جاءتها تلك الفكرة؟ لم تفكر يوماً من قبل في أن «بين» فاتر أو ممل، لذا ما من سبب لتبدأ بذلك الآن، لمجرد أنه مختلف عن جيب ذي العينين الزرقاوين اللامعتين والضحكة المثيرة للاضطراب والقدرة على إثارة غضبها وضحكها في الوقت نفسه.

أدارت ظهرها له عمداً وصبّت انتباهها على «بين». وبعد لحظات نهض جيب وذهب ليحدث والديها في حين كانت فيبي لا تزال تحدق بحلبة الرقص ولكنها على ما يبدو كانت واعية لكل حركة قام بها جيب. لم تكن بحاجة إلى النظر إليه لتعرف أن وجهه يضيء ضحكاً وإشراقاً وأنه يؤشر بيديه وهو يتكلم.

جاءت أمها لتأخذ كرسي جيب الشاغر وقالت لها مؤنبة:

ـ فيبي. ماذا تظنين نفسك فاعلة؟

من الجهة الأخرى من القاعة، رأى جيب فيبي تتصلّب وترفع ذقنها متحدية. لم يعرف ما كانت أمها تقول لها ولكن من الواضح أنهما كانتا تتجادلان، فقد احمرّ وجه فيبي ولمع بريق خطير في عينيها.

استأذن ونهض من مكانه ثم توجه إلى فيبي ومدّ لها يده: «هيا يا فيبي، لنرقص».

نهضت فيبي من دون أن تبدي ببنت شفة. تركته يأخذها بين ذراعيه مستغلة الظرف لتخفي وجهها في كتفه، شعرت فجأة بأنها ترتجف. كان جيب يحتضنها بشدة وبشكل مريح ومثير للاضطراب في آن. كانت تشعر

بقوة جسده وبرائحة بشرته الرجولية.

أحس جيب بارتجافها. لا بد أن رؤية «بين» يراقص عروسه الجديدة أزعجتها كثيراً، ولم يساعدها حتماً ما قالته لها أمها. لقد دعاها إلى الرقص ليساعدها على النسيان ولكنه لم يفكر كم أن هذا سيكون صعباً عليه هو. كانت دافئة، رقيقة بين ذراعيه، واستطاع أن يشم عطرها ويشعر بأنفاسها الدافئة ورفرفة أهدابها على كتفه ويشعرها الحريري تحت ذقنه.

وذكّر نفسه بأنه عليه أن يكون صديقاً، ليس إلاّ. فهذا ما تحتاجه فيبي الآن، ومن الأجدر به أن يفكر كم أنها تتألم بدلاً من التفكير في رغبته بالانفراد بها ليُسكتها عن «بين» ويجعلها تبتسم مجدداً.

في هذه الأثناء، هي تريده أن يستمرّ في ادعائه. وهذه حجّة ليجذبها أكثر إليه.

كل ذلك جزء من التمثيل في النهاية. فلو كان عاشقاً فعلاً، لما رغب بتركها عندما تتوقف الموسيقى، ولما أراد أن يعود بها إلى المائدة ليشارك بها مع الجميع. إنما لأخذها في نزهة ليلية وعانقها في الظلام.

ومن دون أن يفكر، وجد نفسه يراقص فيبي، متجهاً إلى الشرفة. لم تقاومه ولكن عندما توقفا أخيراً في الظلال، تراجعت قليلاً لتنظر إليه بعينيها الداكنتين، نظراً لشحوب وجهها.

ابتسمت قائلة: «شكراً لأنك أنقذتني. أنا وأمي كنا على وشك أن نتشاجر».

ـ ما الذي كانت تقوله لك؟

ـ جاءت توبّخني لأنني أتجاهلك.

أخفت الظلال احمرار وجنتي فيبي وهي تتذكر ما قالته لها أمها. كانت الوالدة غاضبة جداً لأنها ظنت ابنتها تتحسّر على «بين» أمام الجميع. قالت لها: «لقد قلت لنا إنك انتهيت من «بين» وإنك مغرمة بجيب، ولكن لا يبدو الأمر كذلك. يبدو أنك تستعملين «جيب»

لتعودي إلى «بين». هذا ليس عدلاً فيبي. ليس عدلاً بالنسبة إلى بين ولا بالنسبة إلى جيب».

لم تستطع فيبي أن تشرح لها أن مراقبة بين لم تكن سوى طريقة تتجنب فيها النظر إلى جيب.

قالت فيبي لجيب: «ظننت أمي أننا نتشاجرنا. وهي تخشى أن أخسرك بسبب عنادي».

ـ هل أقول لها إنني أحبك هكذا؟

أشرقت ابتسامتها في النور الخافت: «لست واثقة من أنها ستصدقك. في عالم أمي، النساء رقيقات وخاضعات، يوافقن على كل ما يقوله أزواجهن».

ـ يا له من عالم!

ـ أجل.

صمتت فيبي قليلاً ثم قالت: «أدين لك باعتذار».

ـ لماذا؟

ـ بعد كل ما قلته لك وإلحاحي عليك بالتشهّد بالقصة، أنا من أثرت شكوك أمي. هي تظن أنني أستغلك وأنني ما زلت مغرمة بين.

وفكر جيب في أن شيلا لاين ليست غبية ولا بد أنها تعرف ابنتها أكثر من أي شخص آخر. فإذا ظنت أن فيبي لا تزال مغرمة بين، فلعل ذلك صحيح.

ـ من المستحسن أن نقنعها بأن ذلك غير صحيح. ماذا تريدين أن نفعل؟ أترقص مجدداً؟

نظرت فيبي إليه مجدداً ثم أشاحت بنظرها بعيداً. هذه فرصتها!

ـ لا.

قالت هذا ثم أخذت نفساً عميقاً قبل أن تتابع: «أريدك أن تعانقني... إذا كنت لا تمانع».

نظر إليها جيب بابتسامة ملتوية: «طبعاً... إذا كان هذا ما

تريدينه».

لم يبدُ متحمساً تماماً للفكرة بالنسبة إلى فيبي، فغاص قلبها. بدت لها الفكرة منطقية عندما فكرت فيها أول مرة. ما الجدوى من التفكير بعناق ذلك الصباح، في حين أنه بإمكانها أن تعانقه مجدداً؟ هذه المرة ستكون مختلفة وهي الأقل ستهدأ أمها... فالأمر ليس أنها تريد معانقته، إنما هذا جزء من التمثيلية. قالت بشكل دفاعي: «لا أريد إرغامك. يمكنك أن ترفض طبعاً إذا كنت لا تريد ذلك».

هز كتفيه: «ما من مشكلة، فأنا أتقاضى المال لقاء ذلك. أتذكرين؟».

إنها طريقة ممتازة لتجريد الأمور من الرومنسية.

تمتمت فيبي لو أنها لم تبدأ بهذا من الأصل ولكن الأوان كان قد فات على التراجع الآن. وطالما أن جيب ذكّرها ببرودة أنها تدفع له لقاء ذلك، فلِمَ لا تطلب منه أن يعانقها؟

سألها جيب قاطعاً عليها أفكارها: «هل نعود إلى هناك لكي تراقنا أمك بشكل أفضل؟».

ومن دون أن ينتظر ردها، قادها من خصرها كالريشة بين يديه إلى أن وصلا إلى حافة باب الشرفة حيث يديا وكأنهما يتقصدان الاختباء في الظلال.

رغم توقعها ما سيحصل، أحسّت فيبي بجسمها يرتعش عندما شدّها جيب إليه وراح قلبها يخفق بقوة آلمتها. وكانت الاثارة التي شعرت بها قد أفقدتها السيطرة على نفسها، فقالت متلعثمة من دون أن تتحرك من بين ذراعيه: «ربما هذه ليست فكرة جيدة».

جذبها جيب إليه أكثر وقال بصوت غريب: «بل أظنها ممتازة».

وعندما دنا منها وعانقها بكل قوته، تبدد تردد فيبي في لحظة.

كانت يداه دافئتين. بدا خبيراً مع النساء، لكن هذا التفكير ليس في مكانه، كل ما يهمها الآن أنها بين ذراعيه تبادله عناقه، مستمتعة

بمشاعرها بين ذراعيه. طوقت عنقه بكلتا يديها ودفنت وجهها في كتفه، سكرى بهذا الشعور. كم هذا رائع! ولكن فيبي استجمعت شتات نفسها أخيراً واستطاعت أن تنزل ذراعيها عن عنقه، مبتعدة عنه. وأخذت نفساً عميقاً قائلة: «أظن أن هذا العناق سيوهمهم بحبنا ويفي بالغرض».

* * *

٨ ـ اشتياق

بقي جيب ذاهلاً لبرهة ثم أنزل هو أيضاً ذراعيه. التعبير الذي بدا في عينيه دفعها لتعتذر منه ولكن سرعان ما رأته يبتسم مجدداً، فمات الكلمات على لسانها. كان خبيراً جداً في مسألة العناق هذه وكأنها الأخيرة في صفّ طويل من النساء اللواتي توسّلنه ليأخذهنّ بين ذراعيه.

حاولت السيطرة على صوتها بجهد وقالت: «شكراً! لم يكن ذلك سيئاً».

خدش ابتسامة جيب فجأة وفكر في سرّه: لم يكن ذلك سيئاً؟ لقد ذابت بين ذراعيه وبادلته عناقه المحموم وكأنه الرجل الوحيد الذي تريد في حياتها وكل ما استطاعت قوله: «لم يكن ذلك سيئاً»؟

لم يستطع أن يصدق أن ذلك مجرد تمثيل تقوم به لتقنع أمها بأنهما ليسا على خلاف. ولكن إذا كان هذا ما تريده، فليكن! أجابها قائلاً: «لا شكر على واجب. هذا جزء من العمل».

البرودة في صوته آلمت فيبي. بإمكانه على الأقل أن يدّعي بأن هذا العناق كان أكثر من مجرد جزء من عمله! تمكّن جيب بجهد أن ينظر أخيراً إلى ساعته: «أتظنين أننا أمضينا وقتاً كافياً هنا أو تريدين أن أعانقك مجدداً؟».

أجفلت فيبي لما سمعته. من الواضح أنه يرغب في الدخول، ربما خوفاً من أن تطلب منه أن يعانقها مجدداً. آه يا إلهي! ماذا لو ظن أن كل هذا مجرد حيلة لتضع يديها عليه؟ بعد أن عانقته بقوة، لا بد أنه فكر في

أنها تستغل كل ظرف لترمي بنفسها عليه. وإذ راعتها الفكرة، تراجعت منخنقة وراء قناع من الغطرسة: «لا! أظن أن هذا كافٍ».

عادا إلى قاعة العشاء وكان من الواضح أن أمها رأت مشهد العناق ذاك وقد بدت راضية. لم ترفع حتى حاجبها عندما ذهبت فيي لتكلّم بعض الأصدقاء على طاولة أخرى، تاركةً جيب برفقة لارا.

من جهتها، كانت فيي متألقة، إذ عقدت العزم على أن تُظهر لجيب بأنها لم تتأثر بذلك العناق على الشرفة، مثله هو.

أرخى ربطة عنقه وجلس مسترخياً في مقعده، يتحدث مع الجالسين على المائدة، غير عابىء بما تفعله. وعندما رأته يأخذ لارا إلى حلبة الرقص، ضاقت عيناها بشكل خطير.

كانت مشغولة بعدم النظر إلى جيب وهو يراقص أختها، لدرجة أنها لم تلحظ اقتراب «بين» من المائدة حيث كانت تجلس.

كان هو وليزا يمزّان على الموائد، على ما يبدو. أصغت فيي بأذن واحدة إلى ما كان يقوله، وكانت تضحك لكن ذهنها شارد، تفكر في جيب. واضطر «بين» أن يطلب منها أن ترقص معه للمرة الثانية ليسترعي انتباهها، فقال: «من أجل الأيام الماضية التي جمعتنا».

استطاعت فيي أن ترى من فوق كتفه جيب يضحك مع لارا وهما عائدان إلى طاولتهما، فابتسمت بإشراق لبين وهي تنهض لترافقه: «هذا من دواعي سروري».

كان من الغريب أن ترقص مع «بين» مجدداً، وأن تكون بين ذراعيه، وكأنه غريب عنها وليس الرجل الذي قررت يوماً ما أن تمضي حياتها معه. ولم تستطع إلاّ أن تقارن بين شعورها معه وشعورها بين ذراعي جيب وهو يراقصها. ومجرد التفكير بهذا الموضوع محا الابتسامة عن شفتيها فجأة.

في اللحظة التالية، كان جيب إلى جانبها: «أظن أن الآن دوري».

قال ذلك مبتسماً ولكنّ شيئاً ما في وجهه دفع «بين» ليغلت فيي

بسرعة ويسحب بليانة في حين أخذ جيب فيي بين ذراعيه وأكمل الرقص معها.

- ماذا تظن نفسك فاعلاً؟

- عملي. أنت تدفعين لي لأمثّل دور العاشق الولهان، وصدّقيني ما من عاشق يبقى مكتوف اليدين وينظر إلبك تتأملين حبيبك السابق هكذا.

- كنا نرقص فقط لاستعادة ذكرى الأيام الماضية. لم يكن من داعٍ لتأتي وتحرجني!

- آه، تظنين أنني أحرجك؟ تريدينني أن أتحدث مع المدعوين في حين أن المرأة التي يُفترض أن تكون حبيبتي تُظهر للملأ أنها لا تزال مغرمة بالعريس! ما الهدف من كل هذه التمثيلية إذا كنت سترقصين مع «بين» هكذا؟

فتحت فيي فمها لترد عليه ولكن سرعان ما غيّرت رأيها إذ صعقها أن تدرك للمرة الأولى أنها لم تعد مغرمة ببين. لقد اعتادت أن يكون جزءاً من حياتها لدرجة أنها لم تلحظ أنه لم يعد يعني لها شيئاً.

ولكنها لا تستطيع أن تقول هذا لجيب. لقد أظهرت له أنها يائسة وتوسّلته لمساعدتها على حفظ ماء الوجه، لذا لا يمكنها أن تقرّ له الآن بأن كل ما تفعله لم يكن ضرورياً. سيظن أن ذلك كان حجة تذرعت بها لتمضي الوقت معه وهي لا تريده أن يتساءل لما تحاوبت مع عناقه.

لذا من الأفضل أن يظن أنها لا تزال مغرمة ببين، فقالت: «لا أستطيع التحكم بمشاعري».

- إنه متزوج ويُفترض بك أن تكوني مغرمة بي.

- الليلة فقط.

شعرت فيي بالانزعاج. كلاهما يدّعي الفرح ويجادل الآخر من بين أسنانه وهما يتمايلان على أنغام الموسيقى، في حين أنها لم تستطع إلاّ أن تلاحظ الفرق بين الرقص معه والرقص مع بين.

إذا كان جيب واعياً لهذا الاحساس، فهو لم يُظهر ما يدل عليه. للمرة الأولى، كان مزاجه الظريف غائباً تماماً، وفكّه منقبضاً.

قال أخيراً: «نعم أعلم. لقد دفعت لي مقابل ٢٤ ساعة وأي ساعة إضافية تُضاف إلى الفاتورة».

كان يضع خدّه على شعرها، فوقفت فيبي منشنجة في البداية ولكن عندما أدركت كم تبدو سخيفة، استسلمت وتركت نفسها تسترخي.

من أجل العرض التمثيلي فقط!

لكن هذا لم يكن سهلاً. قربه منها يؤثر عليها كثيراً. تلاشت الموسيقى والضحك من حولها ولم تعد تشعر سوى بخفقات قلبها ورائحة بشرته وقوة جسمه المستندة عليه.

سألها جيب وكأنه يحاول سحب الكلمات من فمه: «ما الذي كان يقوله لك على أي حال؟».

ـ من؟

أجابها بنفاد صبر: «بين». رأيته يهمس في أذنك. من يره لا يصدّق أنه هو من تزوج منذ ساعات قليلة!».

ـ كان يقول لي إنه يظن أننا أنا وأنت خُلقنا الواحد للآخر وأنه مسرور لأنني سعيدة.

ـ يقول هذا لأن من الأفضل له أن يصدق ذلك. لو كان يعرفك حقاً، لما ظن أنك سعيدة. حتى أنا يمكنني أن أرى تعاستك.

ـ أنت مخطىء. كل ما أردته هو أن يكون هذا اليوم سعيداً للجميع، لا سيما «بين»، وهذا ما حصل. هذا يكفيني لأكون سعيدة.

رأت في ذلك فرصة لتقنع جيب بأنها كانت تستعمله وأنها عندما تجاوبت لعناقه، كان ذلك لمجرد التمثيل، فقالت له: «علي أن أشكرك، فما كنت لأتمكن من إقناع الجميع بمفردي. لقد أديت دورك بامتياز. عليك أن تفكّر في التمثيل إن لم تنجح في عملك».

ـ لا حاجة بك كي تشكريني، فأنت تدفعين لي.

ـ مع ذلك أقدّر لك جهودك. فقد أضفت الكثير من اللمسات الصغيرة التي أحدثت فرقاً كبيراً كذلك العناق على الشرفة.

لمسة صغيرة؟ أهذا كل ما كان الأمر عليه بالنسبة لها؟ وتصلّب ذلك جيب. هو دائماً من ينسحب عندما تصبح العلاقة عاطفية جداً. ولكن هذه المرة مختلفة، وهذا لم يعجبه.

هل يتصرف مع فيبي كما كان يتصرف مع النساء اللاتي عرفهنّ في حياته؟ عدم التورط أمر منطقي ولكن ذلك ليس بالأمر السهل.

قال بنبرة جافة: «لابأس. لن آخذ منك مالاً إضافياً. على أي حال، لم يكن ذلك صعباً».

طبعاً، فما هو عناق يهزّ الكيان بالنسبة إلى جيب؟ إنه أمر عادي يقوم به دائماً.

ـ جيد.

تابع جيب قائلاً وهو يهز كتفيه: «الأمر أسهل عندما لا يكون المرء متورطاً عاطفياً».

ضغطت فيبي على شفتيها قائلة: «يسعدني أنك كسبت مالاً سريعاً وبطريقة سهلة».

فكّر جيب بعناقهما وبرقصهما بين ذراعيه وبالليلة المقبلة عندما سينام إلى جانبها من دون أن يمسّها فقال: «لم يكن هذا الهدف».

تذرّعا برحلة جيب إلى سويسرا ليغادرا باكراً في اليوم التالي قبل أن يستيقظ أحد.

والنهوض باكراً لم يكن بالمشكلة الصغيرة، أقلّه بالنسبة إلى فيبي، فهي بالكاد أغمض لها جفن طيلة الليل. بدا لها أن الصباح لن يطلع أبداً. جزء منها كان يتوق لتنتهي الليلة وتتمكن من الهروب والجزء الآخر كان يخشى البقاء مع جيب في عزلة.

عندما عادا إلى الغرفة، بدا كل شيء مناسباً لأمسية رومنسية. أغلق جيب الباب بالمفتاح وساد الصمت كسحابة كبيرة خطفت منهما

الأنفاس.

كان قلب فيبي يخفق بشدة وأنفاسها تنقطع في حين كانت أفكارها تدور كالإعصار في ذهنها. هذا ليس الوقت المناسب للتفكير بوجه جيب ويديه وعينيه وربما كانت الأمور ستصبح لو أنهما فعلاً حبيبان، لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها عن ذلك.

استمر جيب بتمثيل دوره أمام الآخرين ولكن ما إن أصبحا بمفردهما حتى بقي على مسافة منها. فشعرت فيبي أنها تفتقد لتينك العينين الهازئتين وتلك الابتسامة البطيئة التي كانت تثير اضطرابها.

وقفت داخل الغرفة تحاول أن تنظر إلى أي شيء عداه فقد أحست في عمق أعماقها أنه لو التفت إليها الآن وابتسم لها، فلن تتمكن من مقاومته. لذا عندما نظر إليها، أمسكت أنفاسها.

حتى إنه ابتسم لها ولكن ابتسامته كانت عادية ولم يكن يفكر بالجو الرومنسي إنما بإجراءات عملية للنوم. قال لها ألاّ تقلق، فسوف يضع صفاً من الوسائد في وسط السرير، ويمكنها أن تنام بسهولة.

قال لها: «لم أنسَ القوانين التي وضعناها».

فذكرت فيبي نفسها بأنه يُستحسن بها أيضاً ألا تنساها.

كان السرير ضخماً جداً ويتسع لكليهما ولكن هذا لم يمنع فيبي من الإحساس بجيب وبقربه منها. تمدد ببساطة ونام من دون أي مشكلة، تاركاً إياها تتقلب أرقاً طوال الليل.

عندما حلّ الصباح، كانت فيبي قد فكّرت مطولاً خلال تلك الساعات الطويلة التي جافاها فيها النوم وقررت أن تعود إلى طبيعتها وتتصرف بشكل مهني تماماً مثل جيب.

عندما خرج جيب من الحمام مرتدياً بذلته مرة أخرى قالت له:

- ربما الوقت مناسب لأدفع لك الآن. هل يناسبك الشيك أم أنك تفضّل أن أدفع لك نقداً؟

اشتدّ العضل في فكّ جيب وهو يقول: «لابأس بالشيك».

- جيد.

- باسم من أحرّره؟

- ج. جيبسون.

بعد أن وقّعته فيبي، سلّمته إيّاه، فألقى عليه نظرة سريعة ثم قال:

- هذا أكثر مما اتفقنا عليه.

- لقد جرى كل شيء حسب ما هو مخطط له، ففكرت في أنك تستحق زيادة على أجرك.

نظر جيب إليها لحظة ثم دسّ الشيك في جيب قميصه قائلاً بصوت يفتقد إلى أي تعبير: «شكراً».

كانت طريق العودة إلى لندن صامتة تماماً، تتخللها أحياناً بعض التعليقات البسيطة عن حركة السير. لم تستطع فيبي التفكير في سبب وجبه للتوتر أو الانزعاج، فقالت إنها هي من سيقود السيارة، مع أنها كانت تشعر بالاثنين معاً.

وكان لذلك علاقة بجلوس جيب إلى جانبها، خالي التعبير. راعها كم أنها اشتاقت لابتسامته، ولم تستطع إلاّ أن تقارن بين هذه الرحلة وتلك التي سبقتها في الأمس عندما راحا يضحكان ويخترعان التفسيرات لإنهاء قصة حبهما المزعومة.

الآن يبدو أن حتى قصة الحب الوهمية محكوم عليها بالزوال. من يراهما معاً هذا الصباح لا يشك مطلقاً في أن قصتهما ستكون نهايتها الدموع.

أطلقت فيبي تنهيدة رغماً عنها وعندما أدركت ما فعلت، تمالكت نفسها. فلا سبب يدعوها للشعور بالاحباط. لقد تخطت زفاف «بين» بشكل أفضل مما توقعته، جيب أدّى دوره جيداً وهي دفعت له كما هو متفق عليه وانتهى الأمر.

وكلما أسرعت في العودة إلى لندن وإلى حياتها الطبيعية كلما كان ذلك أفضل.

أملت فيي أن يصلا إلى المنزل خلال نوم كايت وبيللا، فيجيبا بالتالي الاستجوابات الفورية ولكن زحمة السير أخرتهما فوصلا عندما كانت الفتاتان تتناولان قهوة الصباح، متأنيتين إنما يقظتين تماماً.

اختفى جيب متذرعاً بتغيير بذلته، تاركاً فيي تخضع وحدها للاستجواب بشأن الزفاف. بدأت الفتاتان تسألان عن فستان العروس وما إذا كان هناك قبعات تنافس قبعة فيي بجمالها ولكن أمل فيي بأن يبقى الحديث عند هذا المستوى سرعان ما تبدد إذ قالت كايت إنهما تستعدان لطرح الأسئلة المهمة. سألتاها عن بين وعن شعورها وعن معاملة ليزا لها ولكن ما كانت فيي لتخشاه تلفظت به بيللا أخيراً: «إذاً، كيف تدبر جيب أمره؟».

ـ جيداً.

ـ لقد أمضى الليلة هناك؟

ـ نعم.

ـ هل كان عليكما أن تشاركا الغرفة نفسها؟

ـ ماذا؟... آه نعم!

ـ و؟

ـ لا شيء، ماذا ظننت؟ ليلة حب حمراء؟

قالت ذلك ساخرة وكأنها لم تمض نصف الليل تتساءل ما ستكون عليه الأمور لو كانا مغرمين فعلاً.

ـ لا أظنكما تفكران في هذا وأنا أرى حب حياتي يتزوج أمام عيني. بصراحة كانت صفقة جيدة لكليهما. وقبل أن تسألا، نعم تعانقنا مرتين ولم يكن هذا يعني شيئاً. كان مجرد تمثيل.

ـ هذا صحيح.

جاءها صوت جيب من الخلف، فأجفلت فيي وأوقعت القهوة. كان قد ارتدى بنطلون جينز وقميصاً رياضياً، فعاد جيب الذي تذكره. ولكنها لاحظت أن ابتسامته قد خدت تماماً مثل الليلة الماضية، فغاص

قلبها.

تقدم جيب من الطاولة ووضع يده على كتف فيي: «كان ذلك مجرد تمثيل فيي، أليس كذلك؟ وأسهل طريقة لكسب المال أيضاً».

كان مجرد تمثيل! هذه كلماتها هي. ولكن خلال الأسابيع التالية وجدت فيي نفسها نادمة على ما قالته. إذا كان ذلك مجرد تمثيل فلمَ لا تستطيع أن تنسى ذلك العناق، كما فعل جيب؟ بقيت تفكر كيف أخذ منها الشيك ووضعه في جيبه.

لم تفهم فيي ما خطبها. هي عادة معروفة بقدرتها على التماسك والتفكير بعقلانية. حتى عندما قال لها «بين» إنه لم يعد يحبها، عضّت على جرحها وأصغت إليه. كانت بارعة في تمثيل دور الشجاعة حسب قول الجميع ولكن بالنسبة إليها لم يكن لديها خيار آخر. كان عليها أن تستمر. إمّا هذا وإمّا أن تنهار.

إذا استطاعت المضي قدماً من قبل فلمَ لا تستطيع ذلك الآن؟ ما الجدوى من التفكير في لمسة يديه في كل لحظة؟ وما الجدوى من التمني بألا يكون قد سمعها تقول لكايت وبيللا إن عناقه لم يعنِ لها شيئاً وإنها لا تزال مغرمة ببين.

لم يكن جيب يضيّع وقته بالتفكير في عطلة نهاية الأسبوع تلك. لقد عاد إلى طبيعته السابقة وبدا سعيداً كعادته. شعرت فيي بنظرته عليها مرة أو مرتين فقط ولكنها لم تر في عينيه سوى ذلك البريق الساخر. كان ساحراً، ودوداً وظريفاً وكان يعاملها تماماً مثل كايت وبيللا.

علمت فيي أن ذلك يجب أن يرجحها ولكنها كانت مضطربة جداً، فصبت اهتمامها على عملها. لحسن حظها أن البرنامج عن المصرف الاجتماعي قد تأجل وكان الجميع يعمل على إنهاء فيلم آخر. وأمضت أياماً طويلة تعمل عليه.

كانت تصل متعبة في آخر النهار وعندما كانت ترى جيب، كانت تنسى العمل ولا تفكر إلا فيه، ولم تكن أمها تساعدها على نسيانه إذ لم

تكن تكفّ عن الاتصال لتقول لها كم أن الجميع أعجب بجيب وتسألها متى سيأتيان لتمضية عطلة نهاية الأسبوع.

قالت لها متوسلة: «أتمنى أن تفعلي ذلك يا فيبي. نودّ كثيراً أن نراه مجدداً، وربما يمكنك أن تكلمي لارا أثناء وجودك هنا. إنها مهووسة بذلك الشاب الشنيع الذي تخرج معه حالياً. إنه يضع أقراطاً في كل جزء من جسمه وشعره مريع! تشعرين بالغثيان عند النظر إليه. لمَ لا تبحث عن شخص مثل جيب؟».

راوغت فيبي قدر الإمكان. كانت أمها مشغولة بلارا بحيث لم تستطع أن تخبرها أن خطوبتها المزعومة قد فُسخت وأن جيب ليس رائعاً كما يظن الجميع. ثم كان عليها مناقشة الأمر مع جيب وهي لم تستطع أن تستجمع نفسها لتفعل ذلك.

قالت له بشكل رسمي: «قلتُ لأمي إن مصرفك يعاني أزمة وإنك مشغول جداً في الوقت الحاضر».

فقد خشيت أن تتصل أمها في غيابها ويرد عليها هو. ثم تابعت فيبي قائلة بنبرة لاذعة: «لا تنسَ أنك أنت رئيس المصرف».

ـ أجل. يجب أن أتحقق من كيفية سير الأمور من دوني.

ـ أرى أنك كنت قلقاً جداً بشأن عملك.

ـ لا جدوى من القلق. أنا أثق بموظفيّ. ما النفع من دفع رواتب عالية إذا كان عليّ أن أعمل وأقلق أيضاً.

ـ لا أظنك تفعل أياً منهما. ألا تسأم من التسكّع بكسل طوال اليوم؟

ـ ما الذي يجعلك تظنين ذلك؟

ـ هذا ما أراه.

قال مبتسماً: «لكنك لا تنظرين إليّ عن كثب بما يكفي. ما يجعل أنني أعمل في غيابك».

ـ ماذا تعمل؟

ـ كنت أعمل على مشروع وآمل أن أنهي كل شيء قريباً جداً، بعدها

أخرج من حياتك نهائياً.

شعرت فيبي وكأن مياهاً مثلجة سُكبت عليها: «سترحل؟».

ـ عليّ أن أرحل عاجلاً أم آجلاً.

ـ آه!

حاولت فيبي أن تبتلع ذلك الشعور بالأسف وتحبسه داخلها، وكانت على شفير البكاء. يا للسخافة!

سألته: «متى؟».

وإذ خشيت أن يبدو سؤالها مفاجئاً، قالت: «عليّ أن أجد مستأجراً آخر».

ـ لا أعرف بعد. سأعلمك بذلك.

ـ جيد. سنشتاق إليك.

قالت ذلك وكأن الكلمات خرجت من فمها من تلقاء نفسها.

ـ حقاً؟

ـ طبعاً لقد اعتدنا عليك.

ـ لا. أعني، هل ستشتاقين إليّ؟

شيء ما في صوته أرغمها على النظر في عينيه الزرقاوين وعندما اشتبكت نظراتهما، انخطفت أنفاسها وراح قلبها يخفق بين أضلاعها. أرادت أن تضحك مثلما قد يفعل هو في وضع مماثل، لكنها لم تستطع.

ـ نعم. سأشتاق إليك.

نهض جيب وبدأ يقول: «فيبي...».

ولكن أحدهم قرع جرس الباب، فالتزم الصمت.

هتفت بيللا وهي تنزل السلالم بسرعة: «سأفتح. إنه جوش على الأرجح».

تردد جيب. بيللا نادراً ما تكون جاهزة للخروج، ما يعني أن جوش سيدخل إلى المطبخ ويشرب شيئاً في انتظارها. كانت فيبي تنتظر ولكن جيب كان عاجزاً عن التكلم الآن.

فاستدار نحو الثلاجة قائلاً: «لا يهم. سأحضر عصيراً لجوش».

لكن الطارق لم يكن جوش إنما لارا التي دخلت مع حقيبتها وعلى وجهها تعابير غريبة.

أدخلتها بيللا إلى المطبخ وهي تقوم بحركات لفيي من خلف كتف لارا. أسرعت فيي تعانق أختها: «لارا! ما الذي جاء بك إلى هنا؟».

ـ جئت لأبقى.

ـ ماذا؟!.

ـ لقد جاء جاد مع فرقته إلى لندن ليستجلوا إحدى أغانيهم. قد تكون هذه فرصتهم الكبرى. أمي وأبي سعيدان الآن طبعاً، يأملان أن أنسى أمره الآن وقد رحل، ولكنني لن أفعل! مستحيل!

ارتفع صوتها بشكل مثير للقلق، وبدت منهارة القوى، فأجلستها فيي على الكرسي وقالت مطمئنة: «طبعاً لا. أعرف أن جاد مهم بالنسبة إليك.... ولكن أليس من الأفضل في هذه الحالة أن تذهبي إليه؟».

شهقت لارا بحزن: «هو لا يعلم أنني هنا. يظن أن الدلال أفسدني ولا يمكنني أن أعيش مثله ولكن لا يهمني شيء طالما أنني معه».

واغرورقت عيناها الزرقاوان بالدموع وهي تنظر إلى شقيقتها وتقول: «لم يصدقني عندما قلت إنني سأتخلى عن دروسي وأحق به إلى لندن، ولكن إذا رآني ليلة الغد في الحفلة، سيأخذني على محمل الجد. أليس كذلك؟

تذكرت فيي ما قاله والداها عن جاد وفكرت في أن أختها لن تحب العيش على طريقة صديقها، أياً يكن ما تقوله الآن.

قالت لارا: «لن أبقى هنا طويلاً. سأقنع جاد بأنني أود فعلاً أن أكون معه».

تلعثمت فيي وهي تقول: «المشكلة أن المكان هنا ضيق بوجود جيب الآن».

ـ لا بد أن غرفة كارو لا تزال شاغرة.

ـ نعم، لكن...

كانت على وشك أن تقول إن جيب ينام فيها ولكن لارا ستظن ذلك حجة. يمكنها أن تقول الحقيقة للارا طبعاً ولكن ذلك صعب الآن.

ـ لن أسبب لك أي متاعب. سأبقى بضعة أيام فقط بعدها أذهب إلى جاد.

عندما رأت لارا أختها مترددة، قالت متوسلة: «آه أرجوك فيي. لا تعرفين كم هذا يعني لي».

وجدت فيي نفسها تحدق بجيب عاجزة. قد تظن لارا أن جاد هو كل ما تريد لتكون سعيدة لكن فيي تعلم أنه لا يجدر بها أن تشجع لارا على ترك درسها. ولكن بما أنه لا يمكنها أن تدع أختها تنام في الشارع، لم تعرف ما باستطاعتها فعله.

سألت جيب: «ما رأيك؟» فلو كانا مخطوبين فعلاً، لسألته رأيه طبعاً.

ـ أظن أن الوقت متأخر الليلة لتذهب لارا إلى مكان آخر. لذا من الأفضل أن تمضي الليل هنا وفي الصباح نفكر بما يمكننا فعله.

اقتربت لارا منه بسرعة وعانقته بشدة: «عرفت أنك رائع».

رنّ جرس الباب مجدداً، فقالت بيللا التي كانت تصغي باهتمام:

ـ هذه المرة إنه جوش.

قفزت فيي من مكانها لتتبع بيللا إلى الباب: «جيب، هلاّ أحضرت كأس عصير للارا! سأعود خلال لحظات».

في الردهة، أمسكت فيي بذراع بيللا: «يجب أن تذهبي وترتبي غرفة جيب. ضعي كل شيء في غرفتي الآن ودعي الأمر يبدو وكأن جيب لم ينم في غرفته منذ فترة. سألهي لارا في المطبخ قدر المستطاع».

ـ وأين سينام جيب؟ معك؟

وفتحت الباب لجوش: «مرحباً جوش».

ـ عليه ذلك:... مرحباً جوش... لارا تظن أننا مخطوبان وعليها

www.liilas.com/vb

أن تبقى على هذه الفكرة. لا يمكنني الآن أن أحتمل نواح أمي لأن ما من زفاف سيتم.

دخل جوش المنزل: «ماذا يجري؟».

أجابته فيبي بسرعة: «ستخبرك بيللا. يجب أن أعود إلى لارا».

وما إن رحلت حتى عادت مسرعة: «آه، جوش إذا حصل ودخلت مع أحد في حديث ما، تذكّر من فضلك أن جيب وأنا مخطوبان. ليس خطوبة رسمية ولكننا نبحث عن الخواتم ونفكر في تحديد موعد... أنت تعلم».

ـ نهاني. لطالما فكرت في أنك الصنف الذي يحتاجه جيب.

نظرت فيبي إليه مترددة، فهو مثل جيب، يصعب تمييز المزح عن الجد لديه. على أي حال، وجدت من الأشرف لها أن تتجاهل تعليقه.

أسرعت إلى المطبخ حيث وجدت لارا تبكي بين ذراعي جيب ورأسها إلى صدره، في حين كان هو يهدئها ويهمس في خصلات شعرها الشقراء. كان هذا المشهد كافياً لتقف فيبي مسمّرة مكانها وتتشنج معدتها، ولكن جيب رفع رأسه ونظر إليها بتعبير أراحها كثيراً. قال معتذراً: «كنت أحاول فقط أن أكون لطيفاً».

كانت لارا منهارة ولزمها بعض الوقت لتهدأ. راحت تقول لفيبي من خلال دموعها كم أنها محظوظة لوجود جيب إلى جنبها.

ـ أمي وأبي يظنان أنه رائع وأمي تتباهى به دائماً في نادي الغولف.

غاص قلب فيبي، فالتباهي أمام أصدقائها في نادي الغولف أمر ذات أهمية بالنسبة إلى أمها. لا بد أنها قالت لهم كم أن خطيب ابنتها رائع. صحيح أن زفافها لم يعلن بعد ولكنهما سيتزوجان في وقت قريب وهما يبحثان عن أفضل متعهدي الحفلات... ستصاب حتماً بنوبة قلبية عندما تخبرها فيبي أن كل شيء انتهى.

آه، كم هذا معقد! هذه هي مشكلة الكذب... لا نهاية له أبداً! كل ما أرادته هو تسهيل زفاف «بين» على الجميع. ولكنها إذا لم تحذر

الآن، فسوف تمضي بقية حياتها تخترع أزواجاً وهميين لتبقى أمها مرفوعة الرأس في نادي الغولف.

***

٩ ـ الصداقة وحدها تدوم

في نهاية السهرة، كانت فيبي منهكة القوى. جاءت كايت تلك الليلة وقد أحضرت معها عشاءً لذيذاً من ثمار البحر. كان الجلوس حول مائدة الطعام مع الأصحاب أكثر ما كانت تحبه فيبي عادةً، ولكن فكرة مشاركة غرفة واحدة مع جيب مرة أخرى كانت ترعبها.

انصلت بيللا بكايت وحذرتها من الوضع، فلعبت دورها ببراعة عندما أتت. في الواقع هي وبيللا وجوش أمضيا وقتاً رائعاً وهم يسألون فيبي وجيب عن زفافهما الوهمي، ناسين لأنفسهم أدوار الاشين والاشيتين ومبتكرين قصصاً ليثبتوا للارا كم أنهما مغرمان ببعضهما.

كانت ابتسامة فيبي تجمد شيئاً فشيئاً، وما إن تثاءبت لارا، حتى قفزت فيبي من مكانها، وعرضت عليها أن ترشدها إلى غرفتها: «لا بد أنك متعبة»، متجاهلة النظرات التي كان يتبادلها الآخرون.

حضرت فيبي السرير وقبلت أختها متمنية لها ليلة سعيدة ثم اتجهت نحو غرفتها حيث بدا واضحاً أن بيللا فعلت ما طلبته منها فوضعت أغراض جيب بشكل فوضوي. كانت الغرفة تعجّ بالأليسة والأوراق. وحده الكمبيوتر المحمول كان موضوعاً على سريرها.

انحنت لتبدأ بترتيب الأغراض وما إن جمعت بعض الأوراق المبعثرة حتى مدّ جيب رأسه من الباب: «هل لي أن أدخل؟».

أجابته فيبي من دون أن تنظر إليه: «إنها غرفتك الآن. لست بحاجة للاستئذان».

ـ ربما أنا خطيب مهذب جداً.

دخل جيب الغرفة وتسمّر مكانه وهو يرى جواز سفره في يدها، فقال: «يجب أن أضع هذا في مكان آمن».

وحمد الله عندما أعطته إياه من دون أن تصرّ على النظر إلى صورته كما يفعل البعض.

قالت معتذرة: «أخشى أن بيللا كانت على عجلة من أمرها عندما أخرجت أغراضك من الغرفة. آمل أنك لم تفقد شيئاً».

حاول أن يتذكر ما إذا كان قد ترك شيئاً في الخارج وهو ينحني ليساعدها في جمع الأوراق. لحسن الحظ أنه يحتفظ بمعظم معلوماته على الكمبيوتر، ولكن ثمة أوراق تتعلق بمشروعه الأخير يجب أن تكون في مكان ما هنا...

قالت فيبي فجأة: «آه، هذا منشور عن المصرف الاجتماعي. من أين حصلت عليه؟».

ـ لا بد أنه كان مع أوراقك. وجدته على الأرجح عندما كنت أجري الأبحاث لتأدية دوري في الزفاف.

تفحصت فيبي الورقة، عاقدة الحاجبين، وقالت مرتابة: «لا أذكر. هذه الورقة تبدو مهمة. أنا واثقة من أنني لم أرها قبلاً».

ـ لديك أوراق كثيرة هنا. ربما لم تنتبهي لها.

ـ أظن ذلك. سأستعيدها، فقد تعطيني أفكاراً جديداً للبرنامج. هل أنت بحاجة إليها؟

ـ لا، طبعاً لا.

جمع بقية الأوراق معاً ثم قال بصرامة قبل أن يبدأ بتوضيب ثيابه:

ـ سأرتب هذه الأوراق لاحقاً.

ـ أنا آسفة بشأن هذا كله.

ـ لا تقلقي. أعرف أن بيللا كانت على عجلة من أمرها.

ـ لا. أعني بشأن تمثيل دور الخطيب مجدداً. وتقاسم الغرفة وإلى ما

هنالك...

أجابها جيب بلهجة منطقية: «أنت لم تعرفي أن لارا ستظهر».

ـ لا، كان يجب أن أضع حداً لهذه المهزلة منذ فترة غير أن أمي كانت قلقة بشأن لارا ومتحمّسة جداً لفكرة زواجي، فلم أحلّ بالشجاعة الكافية لأخبرها بأن كل شيء انتهى.

تابع جيب توضيب ثيابه من دون أن يجيب، فتابعت فيي قائلة: «لا أريدها أن تعلم من لارا أننا لم نعد معاً. سيسوءها أن تكتشف أن هذه كلها كذبة، لذا تساءلت إن كنت... لا تمانع بأن تمثّل دورك مجدداً بوجود لارا.

ـ لا، لا أمانع.

لكن ابتسامة جيب الملتوية أقنعت فيي بالعكس.

ـ لست مضطراً لذلك إذا كنت لا تريد.

ـ لا، لابأس. أنا حقاً لا أمانع.

ـ آه... حسناً، جيد. شكراً.

وساد صمت مزعج، أقلّه بالنسبة إلى فيي، فجيب بدا سعيداً وهو يتابع توضيب الفوضى التي سببتها بيللا.

ـ لن يستغرق الأمر أكثر من عدة أيام.

قالت فيي ذلك، غير واثقة مما إذا كانت تطمئن نفسها أو تطمئنه هو: «ما إن ترحل لارا، سأتصل بأمي وأقول لها إننا انفصلنا».

ـ ظننتك لا تريدين أن تخذليها؟

ـ صحيح ولكن عليّ ذلك عاجلاً أو آجلاً. وإلاّ فستزوج من أجلها ونتجب لها أحفاداً، وقبل أن نعرف أين نحن، سنمضي حياتنا كلها معاً!

ـ ولا يمكننا ذلك. أليس هذا صحيحاً؟

تمتم جيب بذلك ولكن شيئاً ما في صوته جعل فيي تنظر إليه بارتياب: «لا أتصور أنك تود انتحال شخصية رئيس مصرف دولي طوال حياتك. لن يستغرق الأمر كثيراً لتبدأ أمي بالتساؤل لما شخص ناجح

مثلك يجول بسيارتي القديمة ويسكن في منزلي القديم».

ـ نعم أنت محقة.

وبعد نظرة ارتياب أخرى، استدارت فيي لتخلي بعض المكان في خزانتها: «هل أنت موافق على شروط المرة السابقة؟».

ـ أتعنين البنود نفسها؟

ـ نعم طبعاً ولكنني كنت أفكر في مسألة المال.

ـ آه! لا.

لم تتوقع منه جواباً كهذا: «أتريد المزيد؟».

ـ لا أريد المال فيي.

للمرة الأولى، بدا جيب غاضباً حقاً: «كيف تسألينني هذا؟ ظننت أننا صديقان الآن».

تفاجأت فيي بردة فعله. لم تره هكذا من قبل، فقالت: «نحن كذلك».

لكن جيب لمس التردد في صوتها: «لا تبدين أكيدة. قلت لي إنك ستشتاقين إليّ. هل كنت تقصدينها أم تقولينها لمجرد الكلام؟».

ابتلعت ريقها: «طبعاً كنت أقصدها».

ـ وأنا أيضاً سأشتاق إليك. أظن هذا يعني أننا صديقان، والصديق لا يدفع لصديقه المال ليساعده.

تفاجأت فيي عندما أدركت أنه ليس غاضباً إنما يشعر بالألم فتمتمت: «آسفة».

ـ لا، أنا آسف، ما كان يجب أن أصرخ في وجهك. لكني خفت ألاّ تعتبريني صديقك. أردت أن أعجبك.

وتفاجأ بطبيعته وهو يقول هذا، هو المعروف بسحره وبكلامه اللطيف الرقيق.

كانت فيي تعلّق قميصاً في الخزانة ولكن عندما قال هذا، توقفت وضمّت القميص إلى صدرها. لم تصدق ما رأته في جيب من قلة ثقة

وارتياب. وصَعُب عليها أن تتذكر كم كان سحره وثقته يثيران اضطرابها.

كل ما استطاعت التفكير به الآن هو أنه يريد أن يُعجبها.

شعرت فيي بانقباض في صدرها وتسارع في أنفاسها وهي تقول:

ـ أنت تروق لي.

ـ لم يكن هذا شعورك عندما وصلتُ.

لم يكن هناك جدوى من الادعاء: «لا. فكرت في أنك مغرور. ذكرّني بسيب الذي كان فظيعاً مع كايت. كان يظن أنه يكفي له أن يبتسم ليرمي الجميع على قدميه ويفعل ما يريده. لقد آلمها كثيراً ولم تعجبني فكرة أن تأتي وتفعل الأمر عينه».

توقفت قليلاً محاولة أن تفهم متى تغيرت نظرتها تجاهه بالتحديد ثم قالت ببطء: «بعد ذلك... تغير كل شيء. بدأت تتسكع في المنزل، من دون أن تقوم بشيء. كنتَ نصف الوقت تثير جنوني والنصف الآخر أشعر بالتوتر لأنني لا أعرف ما ستفعله أوتقوله ولكنك تروقني، وإن كنت لا أدري ما السبب».

انطلقت ابتسامة من عيني جيب الزرقاوين وامتدت لتضيء وجهه كله: «وأنت أيضاً تروقين لي».

أخذ القميص من يدي فيي المرتجفتين ورماها على السرير ثم دنا منها وعانقها، فبادلته العناق من دون أن تفكر.

كان إحساساً جيداً أن تشعر مجدداً بدفئه وقوته. أراحت فيي رأسها على صدر جيب وتنشقت رائحة بشرته، إنها تعجبه!

ثم تجمّدت مشاعرها فجأة في عروقها عندما اتضح لها أن جيب لا يعجبها إطلاقاً، بل هي تحبه!

تغير العالم كله من حول فيي عندما أدركت ذلك، وتشبثت به أكثر، فشدد من احتضانها. وبدأ قلبها يخفق بقوة. لكن جيب سرعان ما ابتعد عنها مبتسماً: «تعجبيني كثيراً».

كان إعجاباً وليس حباً.

تراجعت فيي وقد هزّها الاحساس الجديد الذي يعتمل داخلها.

شبكت ذراعيها قائلة: «لست أدري لماذا كنتُ فظيعة بتعاملي معك».

ـ أنا أعرف.

قال جيب هذا مازحاً وكانت العينان الزرقاوان مضاءتين بضحكة رائعة: «لا يهمني لذلك».

ـ ربما أنا لا أعجبك مطلقاً.

هذه هي فرصتك جيب! كانت فيي تحثه في ذهنها كي يقول إنه يحبها.

بعثت الضحكة فجأة من عينيه وراح يتكلم بجدية: «بل تعجبيني. تعجبني قوتك وأمانتك. تعجبني حدتك والشجاعة في عينيك. يمكنك أن تبدي قاسية قدر ما تشائين فيي، فأنا أعرف أن داخلك امرأة لطيفة جداً».

أشاحت فيي بنظرها. هي لا تريد أن تكون شخصاً لطيفاً فقط. لقد سئمت أيضاً من أن يقال عنها إنها قوية. أرادت أن يرى فيها جيب المرأة الدافئة المرغوبة وليس المرأة اللطيفة فقط.

كان على بعد خطوتين منها وتمنت أن تشعر بذراعيه تطوقانها مجدداً. أرادته أن يعانقها ويقول لها إنه يريدها تماماً كما تريده هي.

استدارت فيي مبتعدة خشية من أن يقترب جسمها منه من تلقاء نفسه، وأخذت القميص من على السرير حيث رماها. سيتفاجأ لو رمت بنفسها عليه هكذا، ولكن الليلة... الليلة سيشاركان الغرفة نفسها وثمة أمور يسهل قولها أكثر في الظلام.

أجلت حنجرتها: «حسناً، بما أننا الآن نعرف أننا معجبان ببعضنا فسيكون ذلك أسهل من المرة السابقة. أعني مشاركة الغرفة».

ـ أتظنين ذلك؟

كان صوته جافاً. كانت دافئة مثيرة بين ذراعيه وهو لا يزال يشعر بشعرها الحريري تحت ذقنه ويشم عطرها المثير: «أظن من الأفضل أن أنام على الأرض».

نظرت فيبي إليه مذعورة: «على الأرض؟ لماذا؟».

ـ سريرك صغير جداً. ثم لقد كان ذلك صعباً بما يكفي في تلك المرة، وغم ضخامة ذلك السرير. إذا نمت إلى جانبك في هذا، فلن أتمكن من إبعاد يدي عنك.

تبخر الهواء من حولها: «وهل... وهل هذا سيء جداً؟».

جاهد جيب ليبقى مكانه ممسكاً بالوسادة التي بين يديه: «أفعل هذا من أجلك. تزوج «بين» منذ أقل من شهر وأعلم كم كان يعني لك وأنك لم تخرجيه كلياً من حياتك».

تذكرت فيبي أنها قالت له إنها لا تزال مغرمة ببين. جعلته يصدق ذلك وإن لم يعد ذلك صحيحاً. كيف تقول لجيب الآن إنه هو من تحب؟ وحتى ولو تمكنت من إقناعه بأن مشاعرها تجاهه ليست لنسيان «بين» فإن الحقيقة ستجعله... قد يشعر بالاعجاب ناحيتها ولكنه لم يقل شيئاً عن الحب.

الحب يفترض الثبات والاستقرار وهي كلمات لا تمت لجيب بصلة، فهو حر ومنفتح بحيث يصعب عليه أن يربط مصيره بامرأة واحدة. وتصورت فيبي أن الكثير من الشقراوات الجميلات أفصحن له عن حبهن في حين اكتفى هو بتوديعهن. وهي لن تكون سوى رقم إضافي يزاد إليهن.

يا ليت ذلك يحدث أي فرق لديها! يا ليت علمها برحيله الوشيك يوقفها عن حبه! ولكن الآن وقد أقرّت بذلك لنفسها، استولت هذه المعرفة على كيانها. وكل ما كانت تأبه له هو التواجد بقربه ومعانقته. هكذا على الأقل سيكون لديها ما تتذكره.

قالت بصوت خافت: «ربما أنت ما أحتاجه لأنسى «بين»».

اشتد فك جيب وهو يسمع هذا. جزء منه كان مفتاظاً لفكرة أنه مجرد وسيلة تساعدها على نسيان «بين» ولكن الجزء الآخر كان يرغب بها.

أهذا ما كان يعنيه جوش عندما تحداه؟ أن يعطي الأولويات للصداقة على الرغبة الخاصة؟ ينظر جوش لا يمكن المزج بين الصداقة والرغبة، وهو يعرف ما معنى هذا الآن. هو يريد فيبي بكل جوارحه ولكن لا يمكنه أن يسمح، فمتدنئذٍ لا مجال للتراجع. سيجد نفسه متورطاً في كل ما كان يتجنبه طيلة حياته. وجيب لم يكن واثقاً من استعداده.

من الأفضل أن يدع الأمور على حالها. فيبي صديقة، صديقة عزيزة... ولكن مجرد صديقة ويجب أن تبقى هكذا.

قال لها: «وحده الوقت سيجعلك تنسينه».

كان يظن أنه يقوم بعين الصواب ولكن ذلك لم يسهّل الأمور عليه. وراح يتساءل إن كان الأمر صعباً لهذه الدرجة بين جوش وبيللا.

استجمعت فيبي شجاعتها وهي ترى فرصتها تفلت منها وابتلعت ريقها قائلة: «ربما، ولكن في هذه الأثناء، أنا بحاجة إلى سند».

سند؟ هو لا يريد أن يكون سنداً لها، بل أكثر من هذا.

ـ لا أظنها فكرة سديدة.

بللت فيبي شفتيها: «لم لا؟».

ـ لا أريد أن أخسر صداقتك.

ـ لم ترَى الأمور هكذا؟

قالت فيبي هذا، من دون أن تصدق الجرأة التي تملكتها فجأة:

ـ الرغبة والصداقة لا تتماشيان معاً. إذا بقيت أسانده وأعانقك وأغازلك، قد أخسرك. قد أخسر صداقتك وأنت مهمة جداً بالنسبة لي، لذا لا أريد لهذا أن يحصل. سأؤدي دوري أمام لارا طبعاً ولكن في الليل سأنام على الأرض.

ـ حسناً، كما تشاء.

علّقت قميصه في الخزانة وراحت تبحث عن الأخرى. ولم يرق

لجيب أن يراها تختفي، وراء قناع الشجاعة ذاك مجدداً.

ـ فيبي...؟

ـ نعم؟

ـ فيبي أنت تتهمينني ألبس كذلك؟ الصداقة وحدها تدوم أما الرغبة فزائلة.

ـ أنت محق. إنها تفسد كل شيء.

لقد أفسد كل شيء على أي حال. لقد وقعت في حبه ولم تصدق كيف حصل هذا، مع جيب من بين كل الناس. فهو ليس النوع الذي تحبه بين الرجال. جرّبت فيبي كل شيء لتقنع نفسها بأنها لا تحب جيب. حدثت نفسها بأن هذا مجرد رد فعل على زواج «بين»، أو انجذاب ليس إلاّ، سيزول حالما يرحل جيب، وهو ليس حباً.

لم تظن فيبي يوماً أنها ستكون ممتنة بهذا الشكل لسيليا، ذلك أن طلبات ربة عملها الكثيرة منحتها عذراً لتمضي ساعات طويلة في المكتب وتتجنب العودة إلى المنزل حيث صديقها جيب. فصداقته لم تعد تكفيها.

لقد جرحها رفض جيب. لقد أوضح أنه لا يريدها. ولمَ قد يفعل؟ هي لاذعة، قوية شرسة، وهو على الأرجح يفضّل الناعمات الجميلات اللواتي يعرفن كيف يطرفن بأهدابهنّ ويبتسمن بإغراء. من الغباء أن تقع فتاة مثلها بحب رجل مثله. وللمرة الألف، حدثت فيبي نفسها بأن تزيل الفكرة من رأسها.

ولكن الأمر لم يكن بهذه السهولة.

كانت لارا لا تزال تطارد جاد في حفلاته، ولكن حفلة تلك الليلة تبدأ في ساعة متأخرة، لذا كانت في المنزل عندما عادت فيبي. وكان عليها طبعاً أن تبتسم وتدّعي السعادة وتدع جيب يقربها كما يفعل أي ثنائي، ولكن في الليل ستنام وحيدة وتتأمله ممدداً على الأرض، متمنية أن تنام إلى جانبه وتعانقه طوال الليل.

لم تعرف فيبي ما إذا كان عليها أن تفرح أو تأسف كون لارا لا تزال

في منزلها بعد أسبوع، من دون أن تتوصل إلى أي نتيجة مع جاد. فمن ناحية، كان يصعب عليها أن تدّعي أن كل شيء جيد وطبيعي ولكن طالما أن لارا هنا، فلا يمكن لجيب أن يأتي على ذكر رحيله.

مجرد التفكير بالمنزل من دونه كان لا يُحتمل ولكن فيبي تعلم أنه سيرحل في النهاية.

قال لها في معرض الحديث عن مشكلة لارا: «سأبقى طالما أنت بحاجة إليّ».

وكم ودّت أن تقول له إنه في هذه الحالة يجب أن يبقى إلى الأبد. ولكنها أومأت وشكرته بتهذيب، قائلة إنها لا تظن أن لارا ستبقى كثيراً.

فكرت فيبي في أن الحب لا يناسبها على الإطلاق، فعيناها مرهقتان لقلّة النوم وقد فقدت شهيتها أيضاً. بدأت كايت وبيللا تنظران إليها بقلق، حتى أن كايت سألتها: «هل من مشكلة فيبي؟ لا تبدين بخير».

أدركت فيبي أن جيب يحدّق بها، فاستندت إلى الخلف في كرسيها قائلة: «أنا بخير. مجرد تعب بسيط».

ـ هل نزعجك سيليا؟

ـ ما زلنا نتشاجر بسبب ذلك البرنامج عن المصرف وطريقة استحصالنا على مقابلة مع رئيسه. ظننتُ أنها نسيت أمره ولكنها عادت إلى هوسها بالمدعو ج.ج جريف. وهي تلمحّ إلى أنها ستستخدم أحداً سواي إذا لم أتدبّر مقابلة شخصية. أظنني يمكن أن أقنعها بمقابلة مع شخص آخر، بما أنا لا نجد إلى ج.ج جريف سبيلاً ولكنني عاجزة عن الوصول إلى أي كان في ذلك المصرف. لا أعرف ما العمل... إلاّ إذا بدأتُ بالبحث عن وظيفة أخرى.

في المساء التالي، عندما عادت إلى المنزل بعد يوم شاق آخر في شركة الانتاج، كان الجميع بانتظارها، متحلقين حول مائدة المطبخ، ينتظرونها على أحرّ من الجمر.

نقلت فيبي نظراتها من الواحد إلى الآخر: «ما الخطب؟»

قالت لارا: «لدي جيب مفاجأة لك».

ـ حقاً؟ ما هي؟

نفض جيب من مكانه وسحب من جيب قميصه بطاقة. ليس خائفاً ماسياً أو رحلة إلى باريس، إنما بطاقة. وقال لها: «في الأمس، التقيت صدفة بصديق تبيّن أنه يعمل في المصرف الاجتماعي. لم أخبرك البارحة لأنني لم أكن واثقاً من أن الأمور يمكن أن تتم كما ينبغي ولكنني ذهبت اليوم لرؤيته وسألته إن كان بإمكانه أن يتحدث إليك. هو لا يعرف إن كان بإمكانه أن يحصل لك على مقابلة مع ج.ج جريف ولكن قد يكون لديه بعض المعارف الذين يمكن أن يفيدوك».

حدّقت فيبي بالبطاقة غير مصدقة. كل ذلك الوقت كانت تحاول الاتصال بأحدهم وها هو جيب فجأة يلتقي «صدفة» به. عرفت أنه يجدر بها أن تكون سعيدة فهذا قد ينقذ عملها. قبل أن تدرك أنها تحب جيب، كان بإمكانها أن تشعر بالبهجة ولكن الآن كل ما استطاعت فعله هو رسم ابتسامة على ثغرها: «شكراً».

ولكنها رأت الآخرين يحدّقون بها متفاجئين لردة فعلها العادية. كانوا على الأرجح يتوقعون منها أن تبدي امتنانها بشكل عاطفي أكثر، فما كان منها إلا أن جعلت ابتسامتها أعرض وقبّلت جيب على خده:

ـ هذا رائع.

امتدت يده بشكل آلي وطوّقتها، مشددة من احتضانها كلما حاولت التراجع.

وفكرت فيبي في أن هذا قد يكون عناقهما الأخير. فلارا سترحل بين اللحظة والأخرى، بعدها يرحل هو. ولكنه الآن هنا وذراعه تطوقها وأنفاسه تدفئها. تركت فيبي نفسها تذوب بين ذراعيه وتبادله عناقه، غير عابئة بما يفكر فيه هو أو هنّ. وانزلقت يدها إلى وسطه لتشدّه إليها أكثر في حين أن اليد الأخرى التي كانت لا تزال ممسكة بالبطاقة كانت منشبثة بصدرة وكأنه خشبة الخلاص.

عندما ابتعد جيب قليلاً عنها، كانت الدموع تترقرق في عيني فيبي. فطرفت بهما لترى لارا تحدق بها باهتمام وكايت ولارا تنظران إليها بالتعبير نفسه. ابتلعت ريقها وابتعدت عنه قائلة: «سأتصل به صباح الغد».

ـ إنه في طريق العودة إلى الولايات المتحدة. انتظري بعض الوقت ولا تنسي أن تقولي له إنني أنا من أعطاك الرقم.

بعد ذلك خرجت لارا، قائلة إن جاد لديه سهرة في «هاكني» وإنها ستوافيه إلى هناك.

فقالت فيبي: «لكن هاكني في الطرف الآخر من لندن. كيف ستعودين إلى المنزل؟».

ـ لا تقلقي فيبي. سأكون بخير. على أي حال، آمل الليلة أن تعود أنا وجاد لبعضنا. لذا لا تقلقي إن لم أعد.

تجنبت فيبي أن تتلاقى نظراتها بنظرات جيب أو صديقتيها وتحججت بالارهاق لتنسحب إلى غرفتها. كانت متعبة فعلاً لكن ذلك العناق لم يدعها تنام. قد يكون الأخير، فإذا ما ذهبت لارا إلى جاد لن يكون لها أي عذر، وسيكون عليها أن تتصل بأمها وتقول لها إن خطبتهما قد فُسخت، كما وعدت جيب.

بعد وقت طويل، دخل جيب يبدو: «فيبي؟» لكن فيبي تظاهرت بالنوم إذ خشيت أن يقول لها ألا تسيء فهم ذلك العناق فهو مجرد تمثيل. وبعد لحظات كان جيب قد خلد إلى النوم على الأرض، في حين أمضت هي ليلة أخرى جافاها فيها النوم.

في الصباح التالي، لم يكن هناك أثر للارا. لا بد أنها عادت إلى جاد في النهاية. أرادت فيبي أن تكون سعيدة من أجل أختها ولكن كل ما استطاعت التفكير فيه هو أنه لم يعد لديها أي حجة لكي لا يرحل جيب، وشعرت بالانقباض في صدرها وهي تتوجه إلى العمل.

مع ذلك، عندما اتصلت بها عاملة الهاتف لتقول لها إن لارا على

الخط، أرغمت فيبي نفسها على الابتسام وهي تطلب منها أن تصلها بها. يجب على الأقل أن تكون إحداهما سعيدة.

ولكنها حتماً لم تكن لارا فصوتها كان منقطعاً، باكياً وقالت لفيبي إنها عائدة إلى المنزل.

سألتها فيبي قلقة: «ماذا حصل؟».

ولكن لارا كانت تشهق بالبكاء بحيث استحال على فيبي أن تفهم شيئاً. فسألتها: «أين أنت؟».

وتمكنت لارا من أن تقول لها إنها عائدة إلى المنزل.

- إبقي هناك. أنا آتية.

اعترضتها سيليا: «لا يمكنك العودة إلى المنزل في منتصف الصباح. لديك عمل كثير. لم تسلّميني بعد ما طلبته منك. عليك أن تتصلي بدايف و...».

وخرجت فيبي من دون أن تستمع إلى الباقي.

وجدت لارا تبكي على السرير الذي كان ينام عليه جيب. لمرة واحدة كان خارج المنزل. وحاولت فيبي أن تتذكر آخر مرة عادت فيها إلى المنزل من دون أن تجده، فلم تستطع التفكير ولو بمناسبة واحدة. بدا لها المنزل فارغاً بشكل غريب من دونه وفكرت في أنه من الأفضل أن تعتاد على ذلك.

جلست فيبي على حافة السرير، ومرر يدها في شعر أختها وتنتزع منها القصة كاملة. كانت تخشى أن يكون أمر فظيع قد حصل لها ولكن تبيّن أن أسوأ ما حصل هو أن مشاعر لارا قد تأذت. لقد أمضت سهرتها مع الفرقة وبعد ذلك ذهبت معهم إلى حيث يسكنون، فأدركت هناك أن إحدى الفتيات تحوم حول جاد وإنه سيء.

- أنفقت كل مالي عليهم، لذا لم يتبق لي أي فلس لأعود إلى هنا. اضطررت لإمضاء الليل هناك في ذلك الجو المقرف. والأسوأ أن أمي وأبي سيقولان: لقد حذرناك... ثم تركت دروسي وكل شيء. أشعر

بأنني غبية. سيغضبان مني.

فكرت فيبي في سرها أن والديها سيسّران بعودة لارا سالمة ويساعدانها على أي شيء. ولكنها قالت إنها ستقلها بنفسها إلى المنزل وتواجههما معها. وطبعاً أصرّت أمها على أن تمضي الليلة هناك بدلاً من العودة ليلاً. وقالت لها أمها: «من الأفضل أن تتصلي بجيب وتعلميه بمكان وجودك وإلاّ سيقلق».

وفي الصباح التالي، غادرت باكراً إلى عملها. توقعت أن تصرفها سيليا من العمل فوراً لرحيلها الفجائي في اليوم السابق، ولكن العمل في تلك الأونة كان من الكثرة بحيث أن ربة عملها لا تقدر أن تستغني عن أي عضو من فريقها. إمّا هذا وإما أنها أدركت حجم العمل الذي قامت به فيبي.

في نهاية النهار، كانت فيبي مرهقة ولم تكن تتمنى سوى العودة إلى المنزل وتناول فنجان من الشاي ولكن هذا يعني مواجهة جيب والوفاء بوعدها بالاتصال بأمها وإخبارها بنهاية الخطوبة، ففضلت البقاء في مكتبها، وفجأة تذكرت البطاقة التي أعطاها إياها جيب.

تأملتها قليلاً. إنها في كاليفورنيا. كانت الساعة تناهز السابعة في لندن، ما يعني أن ثمة أمل بأن يكون براد بيترسن لا يزال في العمل. ستحاول على أي حال.

طلبت فيبي الرقم قبل أن تفقد شجاعتها وراحت تستمع إلى الرنين وعندما أجابها أحدهم من الطرف الآخر، قالت مستعينة بالبطاقة: «هل لي أن أتحدث مع براد بيترسن من فضلك؟».

لكن الخط لم يحالفها أكثر إذا يبدو أن براد مريض ولن يأتي إلى العمل قبل يومين أو ثلاثة. هل من أحد يمكن أن يفيدها؟

أجابت فيبي: «لا أظن. أنا أتصل من لندن وأعطاني رقمه شخص يدعى جون جيبسون...».

وتوقفت فجأة إذ قاطعها الرجل في الطرف الآخر من الخط.

ـ أتعنين جيب؟

ـ آه... نعم. هل تعرفه؟

ضحك قائلاً: «طبعاً نعرفه. كيف حاله؟».

أجابت بصوت جليدي: «إنه بخير! لم أكن أعلم أنه يعرف شخصاً غير «براد» في هذا المصرف».

بدت النسلية واضحة في صوت الرجل وهو يقول لها: «إنه يعرف الجميع تقريباً هنا».

ـ حقاً؟ كيف ذلك؟ هل يعمل في المصرف أيضاً؟

ولم تستطع فيبي أن تصدق قدرتها على السيطرة على نفسها.

ـ يمكنك أن تقولي هذا. اسمعي هل من المحتمل أن تريه قريباً؟

ـ في الواقع سأراه الليلة.

ـ إذاً أرسلي له تحية من قسم التنمية. قولي له إننا اشتقنا إليه جميعاً.

ـ حسناً سأفعل. سأقول له بالضبط ما قلته لي.

أغلقت السماعة بحذر وبقيت للحظات تحدق بها في حين أن المهانة والألم كانا يتقاتمان داخلها. وكان الدم يغلي في عروقها وهي تنهض من مكانها. ولكنها حاولت أن تبدأ وهي تحضر حقيبة يدها وتخرج سيارتها من المرآب حيث تركتها طيلة النهار. ثم توجهت إلى المنزل وقد ابيضّت أصابعها على المقود لشدة تشنجها.

كانت كايت وبيللا خارج المنزل ولحسن حظ فيبي كان جيب وحده في المطبخ. أضاء وجهه عندما رآها بشكل جعل قلبها يقفز من مكانه.

ـ مرحباً.

ـ مرحباً. وهذه التحية ليست مني إنما من قسم التنمية.

كرر بحذر: «التنمية؟».

ـ أنت طبعاً لم تسنّ أولئك الشيان. أليس كذلك؟ لقد اشتاقوا إليك كثيراً.

وكان في لهجتها الكثير من التهكم.

أدرك جيب ما حصل على الأرجح فسألها: «لم تتكلمي مع براد بيترسن أليس كذلك؟».

ـ لا، براد مريض، ولكن لم تكن هذه مشكلة إذ إن الجميع يعرف جيب.

ولمعت عينا فيبي الخضراوان بشكل خطر: «لا أصدق! كل ذلك الوقت وأنا أتكلم عن المصرف الاجتماعي وصعوبة الاتصال بشخص هناك، وأنت ببساطة تعمل لديهم. لمَ لم تخبرني؟».

تنهّد جيب: «لم أشأ أن أتورط في البرنامج. سياسة المصرف لا تسمح بإجراء المقابلات وتشدد على أن تركز الاعلانات على المشاريع. أنت بنفسك قلت إن سيليا تريد أن توقع برئيس المصرف وأنا طبعاً ما كنت لأساعدك في هذا».

ـ لقد كذبت عليّ. أكره الكاذبين.

ـ أنا لم أكذب.

ـ قلتَ إنك لا تعمل.

ـ لم أقل هذا. أنت افترضت ذلك لكنني قلت لك إنني أعمل على عدة مشاريع أثناء وجودي هنا.

ـ مشاريع للمصرف؟

ـ نعم.

كانت فيبي غاضبة جداً بحيث لم تستطع الوقوف مكانها، فراحت تذرع المطبخ كمن وُضع في قفص.

ـ لا عجب أنك اخترت المجال المصرفي عندما أردتك أن تدّعي بأن لديك عملاً. «سأقول إني أعمل في المصرف الاجتماعي وأقوم ببعض الأبحاث». يا لها من فكرة رائعة! كل ما فعلته هو أنك رقّيت نفسك إلى منصب الرئيس. ولم لا؟ فيبي غبية ولن تعرف أبداً.

بدا كل شيء واضحاً الآن وقد عرفت الحقيقة. بالطبع لكن من إقناع الجميع بأنه مصرفي في الزفاف.

ـ لا عجب أنني كنت أظن دائماً أنك تسخر مني. لا بد أنك أمضيت وقتاً مسلياً وأنت تنظر إليّ أتصرف بغباء، وأقلق حول تصرفك في الزفاف، وأحك رأسي لأجد من يساعدني في المصرف الاجتماعي... كم هذا مسلٍّ!

ـ لم يكن الأمر هكذا، فيبي.

حاول جيب الدفاع عن نفسه ولكن فيبي لم تكن بمزاج يسمح لها بالاصغاء إليه.

ـ حقاً؟ كيف كان إذاً جيب؟ لم لا تقول لي؟

تردد جيب ثم قرر أن يكشف أوراقه كلها. وحدها الصراحة يمكن أن تساعده.

ـ لم أستطع أن أقول لك ليس لأنني كنت أهزأ منك ولكن لأن الأمر يتعلق برهان.

* * *

١٠ ـ صفقة

ـ رهان؟

أصغت فيبي ذاهلة إلى جيب وهو يخبرها ما قاله له مالوري، شارحاً كيف توصلا هو وجوش إلى هذا الرهان.

وعندما انتهى، قالت بصوت مرتجف: «إذاً هذا ما كان الأمر عليه! مجرد رهان؟ كل ما قلته عن الصداقة وأهميتها بالنسبة إليك كان مزحة!».

ـ لا، لم تكن مزحة.

قال جيب هذا معترضاً وهو يمرر أصابعه بشعره محيطاً. لقد ظن أنه شرح لها الأمر: «لقد بدأ الأمر كتحدٍّ ولكنه انتهى بشكل مختلف. لم أتوقع أبداً... لم أعتمد عليك في ذلك».

ـ طبعاً! لا بد أنني خيبت ظنك. ببلا وكايت تتصادقان مع الجميع ولكن أنا كنت صعبة. أليس كذلك؟ يجب أن أعترف بمجهودك يا جيب. لقد استلزم العمل عليّ جهداً كبيراً.

واحمرّت وجنتاها وهي تتذكر ما جرى في غرفتها: «كان ذلك ذكاء منك، تلك الطريقة التي اتبعتها لأنظر إليك كصديق. أفترض أنك كنت تسجّل الحديث كله لتثبت لجوش أنك ربحت الرهان. ها هي فيبي تقول إنها ستشتاق إليّ. ماذا تريد أكثر؟».

ـ فيبي لقد أسأت الفهم...

ـ بدأت أفهم كل شيء الآن.

وفكرت فيي في الغضب الذي انتابها عندما عرفت أنه يعمل في المصرف، ولكنه لم يكن شيئاً بالمقارنة مع ما تشعر به الآن. تابعت والغضب يعتمل داخلها:

- لا بد أنني أفسدت خططك عندما بدأت أتقرب منك. لم يكن العناق والملامسات جزءاً من الرهان. لا ألومك لإصرارك على النوم على الأرض. لفعلت الأمر نفسه لو دفعوا لي عشرة آلاف دولار. وأظن أن تلك البادرة اللطيفة عندما أعطيتني بطاقة «صديقك» كانت بدافع التعزية. أليس كذلك؟

كان جيب يجاهد ليحافظ على رباطة جأشه: «بالطبع لا. كل ما في الأمر أنني لم أشأ رؤيتك متعبة. أردت مساعدتك على الاحتفاظ بعملك».

- يا للشهامة! ومن دون شك، كان من المفترض بيراد بيترسن أن يجاريك في اللعبة!

- نعم. أردت إبقاء الأمر سراً مدة أطول.

- حسناً، الآن وقد كُشفت أوراقك، يمكنك أن تدبّر لي مقابلة أيضاً. فكما فهمت، لديك أصدقاء كثر في المصرف، لذا لن يكون الأمر صعباً. هذا أقلّ ما يمكنك فعله لقاء استغلالك لي!

أجابها جيب غاضباً، وقد فقد رباطة جأشه: «أنت أيضاً استغليتني. رحت تتكلمين وتتكلمين عن حبك للقالي بين، موضحة كعين الشمس أنني لست سوى بديل عنه. كيف تتخيلين شعوري؟ لم أقترب منك أكثر، ليس بسبب الرهان إنما لأنني عرفت أنني لن أكون سوى بديل عنه ودائماً في المرتبة الثانية».

فتحت فمها لتتكلم لكنه لم يمنحها فرصة لذلك: «حسناً، أنا آسف فيي ولكن هذا لا يكفيني. تدّعين أنك تحبين المخاطرة ولكنك لا تفعلين ذلك. تفضلين البقاء حيث أنت. تفضلين العيش على ذكرى رجل لا يمكنك الحصول عليه بدلاً من النظر حولك ومدّ يدك لمن يهتمون لأمرك.

تفضلين العمل ساعات طويلة عوضاً عن الاسترخاء والاستمتاع بوقتك. وإذا كان العمل ليس عذراً كافياً كي لا تحرّي شيئاً جديداً، هناك عائلتك!».

- لا تقحم عائلتي في هذا.

- لماذا؟ إنهم قادرون تماماً على الاهتمام بأنفسهم، ولكن لا، فيي هي من يعرف ويفهم أكثر من الكل. تدّعين أنك لا تحبين الكذب ولكن هذا بالضبط ما تفعلينه لأنك تظنين أنك تعرفين كيف يشعر كل واحد منهم وتعتقدين أنه من واجبك تحسين الوضع. حسناً، لدي خبر لك فيي. لا يمكنك ذلك. عليك أن تتعلمي كيف تثقين بالناس لكي تحلّ مشاكلهم.

- تتجرأ على إلقاء محاضرة عن الثقة في حين أنك أمضيت الأسابيع الستة الأخيرة تدّعي أنك صديقي.

- لم أكن أدّعي ذلك.

- الأصدقاء لا يكذبون على بعضهم. آه، أنا آسفة، أنت لم تكن تكذب! كنت تخفي فقط بعض التفاصيل الصغيرة مثل أنك تعيش حياة مزدوجة!

وترقرقت الدموع في عيني فيي الخضراوين: «يمكنك أن تذهب وتعيش حياتك الأخرى الآن. يمكنك أن تذهب إلى جوش وتعطيه عشرة آلاف دولار. تقبّل الخسارة ولو مرة جيب. صديقتك كانت على حق. ليس لديك أي فكرة عما تريده المرأة من الرجل ولكن يمكنني أن أقول لك إن ما تريده المرأة هو أكثر من مجرد سحر سطحي وقدرة على الكذب، وهذا كل ما لديك لتقدمه. آسفة ولكنك لا تتمتع بما تتطلبه الصداقة!».

عندما عادت بيللا وكايت في ذلك المساء، وجدتا فيي تذرع المنزل مستاءة وعلى وشك البكاء.

- ماذا تعنين بأن جيب رحل؟

سألتها بيللا ذلك، مشددة على الجزء الوحيد الذي استطاعت فهمه مما قالته فيي.

أخبرت فيي القصة مجدداً وكادت تجنّ لهدوء صديقتيها: «كيف يمكنكما أن تبقيا هادئتين؟ لقد كذب عليكما أيضاً».

أجابت كايت وهي تفكر في المسألة بمنطق: «آه، لست أدري. أسوأ ما قام به هو أنه جعلني أظن أنه عاطل عن العمل في حين أن لديه وظيفة ممتازة. وهذه ليست نهاية العالم».

ولكنها كذلك بالنسبة إلى فيي. مسحت الدموع من عينيها، فهي لن تبكي على جيب. سيكون ذلك قمة الاذلال!

ـ ماذا عن الرهان؟ ألا تشعران بأنه تم استغلالكما؟

أجابت بيللا: «ليس فعلاً. لم يكن جيب يتظاهر بأنه يحبنا. أنا واثقة من أنه أحبنا فعلاً ونحن أيضاً. لن تكون الأمور على حالها بعد رحيله».

أجابت فيي ساخرة: «آه! أنا آسفة جداً. كان يجب أن أرحل أنا لكي تبقوا الثلاثة أصدقاء! من غير النطق ربما أن أعترض على وجود شخص مزيف في المنزل. لا أرى سبباً يدعوني إلى ذلك».

ـ حقاً؟ ألا ترين سبباً؟

أجفلت فيي لسؤال كايت الهادىء، وسألتها بلهجة دفاعية: «ماذا تقصدين؟».

ـ آه فيي. هذا واضح! أنت غاضبة لأنك مغرمة بجيب.

وانفجرت فيي غاضبة: «طبعاً لا».

ثم تلعثمت وهي تنظر في عيني كايت الثاقبتين: «لم أعد أحبه على أي حال».

ـ لا؟

ـ وكيف أحب شخصاً لا يمكنني أن أثق به؟ لا أعرف إن كان أيّ مما قاله في صحيحاً أم لا. أشعر وكأنني لا أعرفه على الإطلاق.

ـ بل تعرفينه فيي. إنه الشخص نفسه الذي كان من قبل. كل ما في

الأمر أن لديه أشياء أخرى لم تكن تعرفها.

ـ نعم، لديه حياة بأسرها لا أعرف شيئاً عنها.

قالت كايت محاولة انتقاء كلماتها بعناية: «هذا لا يهم. ما يهم أن شيئاً مميزاً كان بينكما. كان ذلك واضحاً وضوح الشمس. رأيناه على وجه جيب كلما نظر إليك وعلى وجهك كلما نظرت إليه. لم تكن تلك كذبة. لم يكن جيب يتظاهر. هو مغرم بك أيضاً».

وانهمرت الدموع من عيني فيي مجدداً: «لا، ليس كذلك. أنا لا أعجبه حتى».

أجابت بيللا: «إنه يهتم لأمرك ولكنه طبعاً لم يشأ أن يكون بديلاً عن «بين». لا أظنه من النوع الذي يحب أن يأتي في المرتبة الثانية، وهذا بالضبط ما جعلته يشعر به».

وضعت كايت ذراعها حول كتفي فيي قائلة: «بيلا على حق. أعرف أنك تتعذبين ولكن يجب أن تمنحي جيب فرصة أخرى. من النادر أن يلتقي المرء بشخص تنشأ معه علاقة كهذه، وسيكون من المؤسف أن تستسلمي من دون محاولة إعادة الأمور إلى مجاريها».

اعترفت فيي يائسة: «لا أعرف كيف».

ـ لن تقدري أن تفعلي شيئاً وأنت بهذه الحالة.

وفي وسط يأسها، لم تستطع فيي إلاّ أن تشعر بالتسلية لهذا الانقلاب في الأدوار. ففي العادة كايت هي من يغرق في البكاء على حياتها العاطفية في حين أن فيي تأخذ دور الفتاة العقلانية. كانت فيي جيدة في التعاطف مع الآخرين ولكن فيي كانت دائماً الملجأ لكليهما للراحة وطلب النصح. كل هذا تغير الآن!

قالت لها بيللا: «انتظري بضعة أيام ريثما تهدئين. أنا واثقة من أن جيب سيتصل على أي حال. عند ذلك عليك أن تمنحيه فرصة وتصغي إلى ما سيقوله».

لكن جيب لم يتصل.

أمضت فيبي الأسبوع التالي تترنح بين المرارة واليأس، فتارة تغضب منه لعدم اتصاله وتارة أخرى تشتاق إليه وتتعذب.

حاولت أن تقنع نفسها بأن علاقة كهذه محكوم عليها بالفشل في مطلق الأحوال. فقد أوضح جيب أنه لن يبقى طويلاً في لندن، فمن المفترض أن يعود إلى عمله، الذي قد يكون مهماً بما أنه أمضى شهرين تقريباً يتسكّع في لندن. أو ربما أخذ إجازة على حسابه لينفذ رهانه مع جوش.

كلما فكرت فيبي بذلك الرهان، كانت معدتها تتشنج وتتذكر حديثهما في الغرفة. قال لها: «صداقتك مهمة بالنسبة لي». فهل تكون هذه كذبة أيضاً؟ وإذا لم تكن، فلِمَ بحق الله لم يتصل؟ لا يهم كم كرهته لاستغلالها كي يكسب الرهان، كل ما تريده هو سماع صوته.

صمت الهاتف كان يعذبها. وكادت تفعل مثل كايت التي تتأكد في كل لحظة إن اتصل أحد وترك رسالة، وتتحقق من البريد علها تجد خبراً من جيب، ولكن عبثاً.

الأمل الوحيد الذي لاح لها كان رسالة من المصرف الاجتماعي رداً على طلب المقابلة الذي قدّمته منذ دهر. سيكون رئيس قسم التنمية في خدمتها ليتكلم عن تاريخ المصرف والمشاريع التي استثمرها. راحت سيليا تشتم لعدم تمكنها من التكلم مع الرئيس ولكن هذا كان سبقاً صحفياً مهماً.

فكرت فيبي في أن جيب هو من قام بالوساطة لأجلها. قد لا يكون ذا منصب مهم ولكنها تعرف كم هو بارع في الإقناع. ونظراً للاتصال الذي أجرته ذلك اليوم بالمصرف، لا بد أن لديه معارف كثر في قسم التنمية.

أرادت أن تصدق بأنه فعل ذلك لأجلها، ما منحها ذريعة لتتصل به. يمكنها أن تشكره من دون أن تبدو متحرّقة للاتصال به.

وعندما اتصلت، قال لها جوش: «أنا آسف فيبي ولكنه رحل».

- رحل؟ إلى أين؟

- عاد إلى الولايات المتحدة.

- آه.

كادت فيبي تسقط لشدة الحيرة والألم، لقد رحل جيب من دون أن يزعج نفسه ويودّعها. حاولت بجهد كبير أن تحبس دموعها وتقول:

- أظنه دبّر لي أمر المقابلة. وأردت أن أشكره على ذلك.

ولكنت رغم تلعثمها من أن تسأل جوش عن رقمه أو بريده الالكتروني.

بدا جوش منزعجاً وهو يجيبها: «أخشى أنه لا يمكنني ذلك. كان جيب غاضباً جداً عندما رحل، وجعلني أعده بألاّ أفعل».

هكذا إذاً! كانت ببللا وكايت مخطئتين. جيب لا يحبها ولا يريد أن يسمع عنها شيئاً. وضعت فيبي السماعة مكانها يائسة وشعرت كما لو أن قلبها تمزق إرباً، بل تصلّب في صدرها. سوف تتخطى ذلك. لقد سبق وتخطت «بين»، وسوف تعيش من دون جيب، لكن الحياة لم تبدُ لها يوماً بهذه الكآبة، والمستقبل بهذا الفراغ.

فقدت اهتمامها بعملها. حتى توصلّها إلى إجراء المقابلة بدا لها نصراً فارغاً، رغم أن سيليا أقرّت بأن ما توصلت إليه فيبي، لم يتوصل إليه أحد.

بعد عشرة أيام كانت فيبي وسيليا في طريقهما إلى كاليفورنيا برفقة مصوّر. كان يجب أن تكون هذه تجربة مثيرة بالنسبة إلى فيبي، فهي قمة مسيرتها المهنية في التلفزيون حتى الآن، ولكن كل ما استطاعت التفكير فيه هو جيب والألم الذي لا يفارق قلبها.

كان مقرّ المصرف الاجتماعي عبارة عن مبنى مطليّ، يتداخل فيه الخشب والزجاج وآخر ما توصلت إليه التكنولوجيا. كانت فيبي متوترة جداً، فقد افترضت أن جيب عاد إلى الأرجح ولم تعرف ما إذا كانت تتمنى أن تلتقي به أو تخشى ذلك.

على الأقل، قد ترى من يمكن أن يوصل له رسالة. ولكن ماذا عساها تقول له؟ كل ما استطاعت التفكير في قوله له هو إنها تحبه وتشتاق إليه وتودّ رؤيته مجدداً، ولكن كيف يمكن أن ترسل هذا مع أحد؟

ذهل دايف المصوّر بالمكان وراح يصوّر الجهة الخارجية قبل أن يتمكنوا أخيراً من إقناعه بالدخول.

استقبلهم رجل وسيم وطريف، بابتسامة دافئة: «فيي لاين؟ أنا براد بيترسن. تشرفت بلقائك».

تفاجأت فيي بحرارة استقباله، لكنها ذكّرت نفسها بأن الأميركيين ودودون جداً. إذاً هذا هو براد وراحت فيي تتأمله خفيةً وهي تصافحه. هو الشخص الذي كان مريضاً عندما اتصلت وتساءلت كيف كانت الأمور لتكون لو كان موجوداً في العمل وحافظ على سرّ جيب.

ودّت لو تسأله إن رأى جيب ولكن بدا لسانها وكأنه ملتصق في حلقها، ثم كانت سيليا هناك تنظر بفارغ الصبر إلى الاهتمام الذي تلقاه فيي وتندفع لتعرّف عن نفسها كمنتجة، لكي يعرف براد بالضبط من المسؤول.

صافحها براد بتهذيب ولكنه سرعان ما استدار مجدداً إلى فيي يسألها عن رحلتها وعمّا إذا كان بإمكانه أن يخدمها.

أجابته فيي وهي تنظر متوترة إلى سيليا: «لا، شكراً نحن ممتنون فقط لموافقتكم على إجراء المقابلة».

ـ آه، كان يجدر بي أن أقول لك إنه لا يمكنني ذلك اليوم. لديّ اجتماع لا يمكنني التغيّب عنه.

انفجرت سيليا بفيي غاضبة بشكل خاص للتجاهل الذي لقيته:

ـ فيي، كان يجدر بك أن تتأكدي من الموعد. ما الجدوى من مجيئنا إلى هنا وقطع كل تلك المسافة إذا كنا لن نحصل على أي مقابلة؟ لو قمت بعملك كما يجب، لنظّمنا الأمور قبل أن نغادر لندن. يبدو أن هذه الرحلة ستكون مضيعة للوقت والمال بفضلك.

رمقها براد بنظرة عدائية قبل أن يتابع حديثه مع فيي، كما لو أن سيليا لم تتكلم: «لكن الرئيس هنا اليوم ويتساءل إن كنت تودّين إجراء مقابلة معه».

وقفت المرأتان فاغرتي الفاه: «الرئيس؟ ج.ج جريف؟».

ـ نعم.

ـ ولكن... ظننته لا يجري المقابلات!

ابتسم براد وهو يقول: «ليس من عادته إجراء المقابلات ولكنه مستعد للقيام بأمر استثنائي في حالتك».

ودّت فيي لو تحفظ هذا التعبير الذي ارتسم على وجه سيليا في تلك اللحظة. لمرة واحدة، لم يكن لديها ما تقوله. تبعنا براد عبر المكاتب الفسيحة، غير مصدقتين حظهما. لم يبدُ المكان لفيي شبيهاً بالمصرف على الاطلاق. كان الجميع مسترخياً ومبتسماً، ولم يكن أحد يرتدي ثياباً رسمية. وتذكرت فجأة كيف ادّعى جيب أنه الرئيس في زفاف «بين»، وقال لها حينذاك: «المصرف الذي أعمل فيه مختلف، ولا يرتدي فيه الموظفون الثياب الرسمية». لم تصدق حينها، فكيف يمكنها أن تعرف أنه يصف مكاناً حقيقياً؟

حاولت أن تبعد الذكريات عن ذهنها وابتسمت لبراد وهو ينحنى جانباً مشيراً إليها بالدخول إلى مكتب خاص. كان رجل جالساً خلف المكتب وعندما رأهما نهض من مكانه وصافحهما.

قالت فيي بتهذيب: «شكراً جزيلاً على موافقتك على مقابلتنا سيد جريف».

ـ لست السيد جريف. أنا مساعده ولكنه ينتظركم.

قرع الرجل على باب خلف مكتبه وقال: «الفريق الآتي من لندن هنا»، وفتح الباب لكي يدخلوا.

وجدوا أنفسهم في مكتب فسيح تحيط به الواجهات الزجاجية من الجانبين وذي أرض خشبية لمّاعة. كانت طاولة المكتب لا تحتوي سوى

على جهاز كمبيوتر وهاتف، وأمامها كنبتان فاتحتا اللون وطاولة زجاجية منخفضة. كان رجل جالساً على إحداهما يقرأ تقريراً ولكن حالما دخلوا، وضع التقرير جانباً.

ابتسم قائلاً: «أهلاً بكم في المصرف الاجتماعي».

وكانت ابتسامته مألوفة جداً.

إنه جيب!

تسمّرت فيي مكانها فجأة لدرجة أن سيليا التي كانت تتبعها اصطدمت بها، فقالت مستاءة: «أنظري أين تسيرين فيي».

ولحظتها لتصافح جيب وتعرّف عن نفسها، متجاهلة فيي التي كانت لا تزال مسمّرة مكانها، وكأن الأرض تهتز من تحت قدميها ولا تجرؤ على التحرك خشية الوقوع.

هزت رأسها علّها تستيقظ، فهي على الأرجح نامت في الطائرة وهذا ليس إلاّ حلماً... بل كابوساً. وفي أي لحظة الآن ستأتي المضيفة لتسأل إن كان أحد يودّ أن يتناول الطعام، فتستيقظ وينتهي كل هذا.

سألت سيليا دايف: «أين تريد أن يجلس السيد جريف؟».

وراحا يتكلمان عن الزوايا والأضواء، في حين أن جيب توجه إلى حيث كانت فيي لا تزال واقفة بجانب الباب.

قال برقّة: «مرحباً فيي».

ـ أنت لست رئيس هذا المصرف.

قالت فيي ذلك بحذر شديد لتبيّن أنها تعرف أن هذا حلم.

نظر جيب إلى نفسه بذعر: «لست كذلك؟ لا تخبري أحداً، فالجميع يظن أنني كذلك ولا تريدهم أن يعرفوا أنني كنت أكذب طيلة الوقت!».

لقد طال هذا بالنسبة إلى حلم. ثم إن جيب يبدو مألوفاً جداً. الضحكة والوميض التلألؤ في العينين الزرقاوين وشكل فكّه وتلك الابتسامة التي تذيب منها القلب.

بللت فيي شفتيها، غير واثقة مما إذا كانت تودّ أن يكون هذا حلماً

أو حقيقة: «هذا مستحيل».

اتجه جيب إلى الباب ونادى معاونه: «مارك.. هل أنا رئيس هذا المصرف؟».

ـ نعم سيدي.

ثم استدار جيب مجدداً إلى فيي: «مارك يقول إنني هو، لذا لا بد أنني كذلك».

ـ هذا مستحيل. من هو ج.ج جريف إذاً؟ أم أن اسمك كان كذبة أخرى؟

ـ ج تعني جون وحرف ح الآخر يعني جونسون.

كانت سيليا تنادي بفروغ صبر: «فيي! لا تقفي هناك مكتوفة اليدين. ساعدي دايف في التحضير».

رسمت فيي ابتسامة على ثغرها واستدارت نحو جيب: «سيد جريف، تفضل بالجلوس ريثما ألقي نظرة على الأسئلة التي ستُطرح عليك».

أجرت فيي اختباراً على الصوت قبل أن تبدأ سيليا المقابلة. قد تكون تلك المرأة سيئة ومن الطراز الأول ولكنها محترفة غير أن فيي لم تستفد شيئاً من احترافها إذ كان اهتمامها منصباً على جيب. رأته يتكلم ويبتسم وقد بدا مسترخياً أمام عدسة الكاميرا، لكن كلماته ضاعت في خفقان قلبها وزوبعة الأفكار التي راودتها في تلك اللحظة.

كانت سيليا تطرح الأسئلة الأخيرة عليه: «لمَ قررت أن تجري هذه المقابلة بعد أن كنت رافضاً الفكرة؟».

أخذ جيب وقته قبل أن يجيب. بدا وكأنه ينتقي كلماته بعناية ووجدت فيي نفسها تميل إلى الأمام لتسمع ما يقوله.

ـ لطالما فكرت في أن ما نقوم به هنا ليس عنّا نحن، إنما عن المشاريع التي ندعمها حول العالم. الأشخاص الذين يحدثون الفرق هم الذين يضعون المشاريع ويكرسون وقتهم وجهدهم لإنجاحها. لكنني كنت

أظن أننا بإجراء المقابلات التي تركّز عليّ أو على المصرف، نبعد الانتباه عن الأمور التي نهتمّ فعلاً وهي الجماعات التي تعمل على تحسين حيابها.

ـ ما الذي جعلك إذاً تغير رأيك؟

نظر جيب مباشرة إلى فيبي: «لقد أمضيت بعض الوقت بعيداً عن المصرف في الآونة الأخيرة وأدركت أن الإيمان بأمر ما لا يؤدي بالضرورة إلى تحقيقه. أعلم الآن أن تغيير الرأي والاقرار بالخطأ ليس علامة ضعف».

اشتبكت نظراته بنظرات فيبي التي علمت أنه لم يعد يركّز على المقابلة أو يتوجّه إلى محاورة البرنامج. ثم تابع: «كنت مخطئاً بشأن أمور كثيرة وإجراء هذه المقابلة كان الطريقة الوحيدة لتصحيح هذه الأمور».

تفاجأت سيليا بكلامه وتبادلت بعض النظرات مع المصور الذي هز كتفيه.

أمّا جيب فتابع كلامه من دون أن يسلخ نظره عن فيبي: «أملت بأن تكون هذه فرصة لأشرح الأمر. كان بين يدي شيء مميز للغاية ولم أدرك أهميته بالنسبة لي إلى أن ابتعدت عنه. أردت فرصة لأعبّر عن أسفي وأقول إنني تأخرت لأفهم أن حياتي تغيرت من دونه».

أحسّت سيليا بأن جيب ضاع في أفكاره، فقالت: «حسناً شكراً جزيلاً. هل صورت كل شيء دايف؟»

كان المصور أشدّ ملاحظة، فعاد ينظر إلى فيبي التي لم تستطع الحراك. كانت تنظر إلى جيب. بينما وضّب دايف العدّة، وأخرج سيليا من المكتب وهي تسأل ما الذي يجري ولما كانت فيبي واقفة كالغبية هناك... نهض جيب من مكانه ودنا من فيبي: «لقد أذيتك. أنا آسف».

أخيراً وجدت صوتها: «قال جوش إنك غاضب».

ـ كنت كذلك ولكنني غاضب من نفسي. كنت غبياً ومتعجرفاً وأنانياً وكل ما أقسمت ألاّ أكونه أبداً. لم أفكر فيك أو في ما قد تشعرينه

عندما تعرفين أنني لست من تظنينه. كان يجدر بي أن أخبرك فيبي. أعلم ذلك الآن. لم يكن الرهان مهماً ولكن لم أجد الفرصة الملائمة وكنت أخشى إفساد كل شيء إن أخبرتك، الأمر الذي حصل عندما عرفت على أي حال. برزت نفسي طبعاً، وقلت لذاتي إنني لا أعني لك شيئاً وإنني شخص حر طليق وآخر ما قد أريده هو الارتباط. كنت أبتعد ألف ميل عن كل ما يشير إلى الالتزام والارتباط. لمَ قد أتخلى عن حريتي من أجل فتاة لا تحبني؟ أو بالأحرى ليست معجبة بي حتى؟

ـ لكنني قلت لك إنني معجبة بك.

ـ أعرف ولكنك بدوت لي غير واثقة.

ـ أخشى أنني كنت أكذب أيضاً، فأنا لست معجبة بك.

تجهّم وجه جيب: «قلت إنك كذلك!».

هزت فيبي رأسها: «لم أكن أعني ما قلته».

لكن التعبير الذي بدا في العينين الزرقاوين جعلها تتوقف عن التلاعب بأعصابه: «شعوري نحوك يفوق الاعجاب فالحقيقة هي أنني أحبك».

حدق بها لحظة طويلة ثم دنا منها وأمسك كلتا يديها: «تحبينني؟».

ـ نعم ولكنني كنت خائفة من الإقرار بذلك.

وكم أراحها أن تقول تلك الكلمة.

ـ تحبينني.

قالها مجدداً بنبرة مختلفة وكأنه لم يستوعب، فارتسمت ابتسامة حلوة على شفتي فيبي: «نعم».

جذبها إليه قائلاً: «فيبي... قوليها مجدداً».

ـ أحبك.

ـ وأنا أحبك.

وترك يديها ليمسك وجهها، فشعرت أنها ستذوب من السعادة

والدفء في عينيه وهو يقول: «لم أظن يوماً أنني قد أقولها ولكن هذه هي الحقيقة. يجب أن تصدقيني».

- أصدقك.

وعانقها بشدة بين ذراعيه فذابت فيه، وطوقت عنقه بذراعيها فتبدد كل أثر للتعاسة التي أزهرت سعادة وفرحاً. تشبثت به مبادلة إياه عناقه بنهم وحب أفصح عما عجزت الشفاه عن قوله.

جلسا معاً على الكنبة وقالت له وهي متأبطة ذراعه ودافنة رأسها في كتفه: «كنت تعيسة من دونك. لمَ لم تقل لي إنك تحبني؟».

أجابها جيب وهو يداعب شعرها: «بسبب الغيرة. لم تكفّ عن القول إنك ما زلت مغرماً بين وفكرت في أنني لن أكون سوى بديل عنه. حاولت أن أقنع نفسي بأنني سأنساك بسرعة عندما أعود إلى هنا، ولكن لا. على العكس. اشتقت إليك أكثر مما أستطيع التعبير عنه.. لطالما كانت حياتي رائعة هنا. لديّ كل ما أحتاجه: عمل ممتاز، منزل جميل، أصدقاء رائعون، ولكن لا معنى لشيء من هذا من دونك».

ثم تابع معترفاً: «شعرت بالذنب أيضاً للطريقة التي أذيتك بها. تذكرت ما قلته ووجدت أنك على حق. أقل ما يمكنني فعله هو منحك المقابلة التي تحتاجينها، ولتذهب سياسة المصرف إلى الجحيم ما دام ذلك يبقيك في عملك».

اقتربت فيبي منه أكثر قائلة: «فكرت في أنك أنت من دبّر ذلك ولكنني تخيلت أنك توسطت لي عند رؤسائك ولست أنت من اتخذ القرار. ظننت أننا جئنا لمقابلة يراد بيترسون».

- طلبت من يراد أن يقوم بذلك أولاً لأنني كنت لا أزال مترددة ولكنني لم أحتمل فكرة وجودك في المبنى من دون أن أراك. وما إن دخلت إلى هنا، عرفت أنه لا يكفي أن أعتذر وأنسحب من دون أن تتأذى كبريائي. عرفت أنه عليّ أن أقول لك إنني أحبك.

فكر قليلاً ثم تابع: «كان جوش محقاً. قال لي إن الدلال أفسدني. سئمت من أن تُغرم بي الفتيات من دون أن أبادلهنّ شيئاً من حبهنّ. لم أبذل يوماً أي جهد للوصول إليهنّ... ثم التقيت بك. المرأة الوحيدة التي أردت والتي بدا لي أنني لن أحصل عليها».

نظرت إليه فيبي بجدية: «جيب، هل أنت واثق أنني لست تحدياً آخر بالنسبة إليك، كتسلق الجبال مثلاً؟».

- التسلق ليس تحدياً. إنه شغف! ذلك الشعور عندما تصلين إلى القمة وتنظرين إلى العالم من فوق... إنه رائع، وإنه الشيء الوحيد الذي يقارب ما شعرت به عندما قلتِ لي للتو إنك تحبينني.

ابتسم لها وامتدت يده الدافئة إلى خصرها، قائلاً بصوت عميق منخفض أرسل قشعريرة في ظهر فيبي وارتجافة للذيذة: «ولدى شعور بأن ما أحسست به الآن ليس سوى جزء صغير مما سأشعر به عندما نتحدّ معاً بكليتنا».

سألته باستفزاز وهي تمرر يدها برقّة على صدره العريض: «هل أنت واثق من أنك لا تريد أن نبقى مجرد صديقين؟ فالرغبة والصداقة لا يتماشيان معاً. الرغبة تعقّد الأمور وتفسد كل شيء، أليس هذا ما قلته؟».

- أجل ولكن كنت أظن أنني لن أحصل منك سوى على صداقتك. ولكن عندما يكون المرء مغرماً، لا تكفيه الصداقة. أريد أن أعرف أنك تحبينني وأنك ستكونين دائماً إلى جانبي وأنني سأراك كل صباح عندما أستيقظ.

ابتسمت فيبي: «أظن أنه بإمكاننا إن نجرّب ونرى».

عانقها جيب بقوة قائلاً: «أجل ولكن يجب أن نتفق أولاً على بعض قواعد الالتزام».

- الالتزام كما في الحرب.

- بل كما في الزواج والعيش بسعادة إلى الأبد.

وراح يتشمم شعرها ويسكر من عطرها، حتى كادت تذوب بين ذراعيه.

- ما هي هذه القواعد؟

- أولاً يجب أن تحبيني إلى الأبد.

- أظنني قادرة على ذلك.

- يجب أن تثبتي ذلك بمعانقتي بشكل منتظم.

تنهدت مدّعية الانزعاج: «إذا كنت مضطرة لذلك».

- وعندما نتعانق، لا أريد أي سوء تفاهم. نعانقنا بعني كل شيء.

- هكذا؟

جذبته فبي إليها وعانقته طويلاً، مشعلةً كل ذرّة من كيانه.

- بالضبط.

- وما هي القاعدة الثانية؟

- الالتزام بالقصة وإبقاؤها بسيطة.

- وما هي القصة هذه المرة؟

- القصة نفسها التي اعتمدناها في المرة الأولى: تعارفنا ووقعنا في حب بعضنا وسوف نمضي بقية حياتنا معاً. الفرق الوحيد هو أن القصة هذه المرة حقيقية. أتظنين أن بإمكانك أن تتذكري هذا؟

- أظن ذلك.

حذرها قائلاً: «ممنوع تغيير القصة. هذه هي القاعدة. يجب أن تعديني بأن تتزوجيني وإلاّ ألغيت الصفقة».

أجابته مبتسمة: «لا يبدو لي هذا صعباً جداً».

- أردت أن تكون القاعدتان بسيطتين جداً لكي تعرفي ما أنت توافقين عليه. قاعدتان فقط: تحبيني إلى الأبد وتتزوجين بي قريباً. هل من أمر أسهل؟ إما أن تقبلي أو ترفضي. ولكن جوابك غير قابل للتفاوض. آه! هذه هي القاعدة الثالثة!

تنهدت فبي سعيدة: «في هذه الحالة، أنا موافقة».

- على جميع القواعد؟

- جميعها.

* * *

www.liilas.com/vb